



# أيها الصديق

ومضات وهدايات من سورة يوسف



جمع وترتيب: محمد خيرى



# أيها الصديق

رحلة تدبُّر مع سورة يوسف



جمع وترتيب:

محمد خيرى



**مركز آيات لتعليم القرآن الكريم**  
مركز متخصص في تعليم القرآن الكريم،  
وتقديم ما يتعلق به من الدراسات والدورات  
هاتف: ٠٢٠١٠١٢٧٢٢٤٨٤

كتاب: أيها الصديق  
إعداد: فريق مركز آيات لتعليم القرآن الكريم

حقوق الطبع والنشر محفوظة



AyatQuranCenter

هذه النسخة إلكترونية  
وغير مسموح بطباعتها أو بيعها  
أو الترخيص منها.

معانٍ قد لا تخطر لك على بال ..  
في ثايا كلمات التنزيل ..  
زرعها ثلَّةٌ من الأكابر ..  
حصدناها لك ..  
في عبارات تدبرية مقتضبة ..  
تقرؤها مرةً بعد مرة ..  
فيصبح اصطيادُ المعاني عندك عادة.

# المحتويات

١٢٥ .....	رحلة بنيامين	٧ .....	مقدمة
١٣٥ .....	كيد الله ليوسف	٩ .....	بين يدي أحسن القصص
١٤٧ .....	كرب جديد	٢٣ .....	وبدأت المؤامرة
١٥٩ .....	وانكشف السر	٤٩ .....	قصة العفة
١٦٩ .....	لقاء الأجابة	٧٣ .....	وشاع الخبر
١٧٧ .....	تحقق الرؤيا وتمام المنة	٩١ .....	أعظم سجين
١٨٧ .....	عوارض في طريق الدعوة	١٠٣ .....	رؤيا الملك
١٩٣ .....	منهج الدعوة وأسس نجاحها	١١٧ .....	على خزائن الأرض

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد؛

فقد رُوي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قوله «من ورائكم فتنٌ يكثُر فيها المال ويُفْتَحُ القرآنُ حتى يأخذه الرجلُ والمرأةُ، والحرُّ والعبدُ، والصغيرُ والكبيرُ، فيوشك رجلٌ أن يقرأ القرآنَ فيقول: قد قرأت القرآنَ، فما للناس لا يتبعوني؟» ثم يقول: «ما هم بمتبعيَّ حتى أبتدعَ لهم غيرَه»؟!

وقديماً قالوا: «لكل جديد لذة»! وإنه كما تنتشر (الموضة) الجديدة في الأزياء ثم تموت ، فكذا تنتشر في الأفكار والأخلاق والأهواء ، ثم تموت. ويبقى القرآن .. لا تفتنى عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد!

لما أسمع الله الجنَّ القرآنَ ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن] ، وصدقوا والله! فهذا القرآن عجبٌ في إعجازه ، في نظمه وعباراته ، في معانيه وهداياته ، في خلوده وبقائه ، وهو معينٌ هدىً وشفاءً لا يَنْضَبُ أبداً ، وإنه لم يزل الناسُ ينهلون من هذا المعين ، ويردونه كلَّ يوم ، مذ أنزله الله تعالى ، ولن يزال القرآنُ يروي غُلَّتَهُم من الهدى ، إلى أن يأذن الله وتوشك الساعةُ أن تقومَ.

وبين يديك أيها القارئُ الكريم في هذه الورقاتِ ومضاتٌ وقبساتٌ من هدايةِ القرآن؛ من سورةٍ واحدةٍ منه ، لطالما أروت وأشبعَت طالبي الهدى وملتمسي سنن الكون على مدار التاريخ ، إنها سورة نبي الله يوسف عليه وعلى سائر أنبياء الله الصلاة والسلام ، هذه الورقات ليست تفسيراً للسورة ، ولا شرحاً لغريبها ، أو بياناً لأحكامها ، لكنها هداياتٌ وفوائدٌ مختارةٌ من قبس آياتها ، مجموعةٌ لكم من تأملاتٍ عددٍ كبيرٍ من العلماء والدعاة والمنشغلين بالقرآن وتأمُل آياته واستخراج كنوزه.

وأصل هذا الكتاب؛ مادة جُمعت للتدريس مع المعتكفين في رمضان ١٤٣٣ هـ بمسجد أحمد أبو أحمد؛ من أكثر من ٢٠ كتاب تفسير ككتاب التفسير لابن كثير ، كتاب (يوسف الأحلام) للشيخ محمود المصري ، كتاب (آيات للسائلين) للشيخ ناصر العمر ، كتاب (قدوتنا في الضيق يوسف الصديق) للشيخ سعيد عبد العظيم ، كتاب (جماليات النظم القرآني في قصة مراودة يوسف) للدكتور عويض العطوي.. وغيرهم ، مع جمع تأملات كثير من العلماء والدعاة وطلبة العلم المهتمين بالتدبر كالشيخ عبد الله بلقاسم ، والشيخ محمد الربيعة ، والشيخ خالد السبت ، والشيخ علي الفيبي ، والشيخ الطريفي ، والشيخ محمد الخضير ، وغيرهم الكثير ممن يصعب حصرهم.

وقد اطلع عليها بعض الفضلاء ، فألحوا علينا بضرورة نشرها ، فاستخرنا الله ونشرناها نسأل الله أن ينفع بها ويتقبلها.

فما كان في هذه الفوائد من إصابة وخير فمن الله ﷻ ومن توفيقه لكتابها ، وما كان غير ذلك فمن النفس والشيطان ، ونسأل الله أن يكون اجتهاداً مضاعفاً للأجر من أصاب فيه ، وما جوراً من لم يصب ، وأن يبصرنا ويهدينا جميعاً للحق ، وينفعنا بالقرآن الكريم.

وللاستزادة ننصح بسماع سلسلة «تحليق مع قدوتنا الصديق».



والآن تترككم في هذه الرياض الغناء من جنة سورة يوسف ﷻ ..

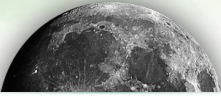


بين يدي أحسن القصص



ما أجمل اللطف .. أن يقص الخالق على المخلوق .. إنها  
القصص المؤثرة لكل النفوس ، حتى نفوس الأنبياء.





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

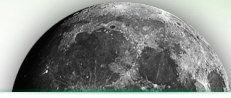
﴿الر﴾: أنزل الله تعالى هذه الكلمات المركبة من الحروف الهجائية في أوائل السور إعلماً بهذا الإعجاز؛ لأنها هي التي كان العرب يؤلفون فصيحَ كلامهم منها ومن أخواتها ، فكانه تعالى يقول لهم: ها هي حروفكم المعتادة؛ فأتوني بكلامٍ مثل القرآن.

﴿الر﴾: وأخواتها درسٌ عميقٌ في التسليم؛ فهي أحرف مُقطَّعة لا نعرف معناها ، ومع ذلك يجب علينا أن نؤمن بأنّها من كلام الله ، وبأن الله يعلم معناها ، بل ونحن متعبّدون بتلاوتها وحفظها ، بل ويكفر من ردّها أو سخر منها أو قلل من شأنها !

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة للبعيد ، واستعماله هنا يُشعرُ بارتفاع قدر آيات الكتاب فوق

كل كلام ارتفاعاً هائلاً.

﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾: ومن كونه مبيناً أنّ كل الكتب يعترئها غموضٌ سواه ، وكل الكتب فيها لبسٌ غيره ، وكل الكتب قد يطرأ عليها شيء من التناقض عداه.



## ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾: كل ما ليس من معهود كلام العرب لغةً وأسلوباً وطريقةً؛ لا ينبغي أن يُفسَّر به القرآن العربي.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: هكذا تزداد العقول بسماع المعاني الشريفة ، فإن رُمّت عقلاً راجحاً فأكثر مجالسة أهل العقل وسماع الحكمة.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: شهادة القرآن على عظمة اللغة العربية؛ إذ جعل عقل الشريعة في كنف العربية.

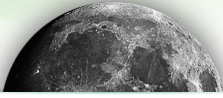
﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: من قرأ القرآن ثم لم تتضح الرؤى لديه ، ولم تترتب فوضى عقله ، ولم تنسجم قناعاته مع مبادئه ، فلم يقرأ القرآن.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: كلما زاد حظك من اللغة العربية؛ زاد تدبرك وتعقلك للقرآن.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: على ما في هذه السورة من مشاهدٍ مثيرةٍ للعاطفة .. إلا أن العاطفة كانت في السورة مردّها للعقل.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: عناية القرآن بالعقل ومكانته.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾: تدل هذه الآية على أن اللسان العربي أفصح الألسنة وأوسعها وأقومها وأعدلها؛ إذ أن الله تعالى اختاره لكتابه الكريم مخاطباً الناس كافة ، ثم قال: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.



## بين يدي أحسن القصص

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ (٣)

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾: العظيم يقص ، ونصف الجمال هو الحدث ، والخليل الخلق يستمع ، نصّ يفيض نورًا.

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾: عليك أن تختار من يقص عليك؛ فالقصة قد تصوغك.

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾: يا الله! ما أجمل اللطف .. أن يقص الخالق على المخلوق .. إنها القصص المؤثرة في كل النفوس ، حتى نفوس الأنبياء.

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ ﴾: الله سبحانه يقص! وبعض أهل العلم يستنكف عن إيراد قصة في كلامه يفيد بها الناس ، ظلنا منه أن ذلك يهبط بأسلوبه العلمي!

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ ﴾: جُبل الإنسان على حب القصص؛ فهي أسلوبٌ تربوي يجذب المتلقي.

﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾: لاشتغالها على حاسدٍ ومحسود ، وعاشقٍ ومعشوق ، ومالكٍ ومملوك ، وشاهدٍ ومشهود ، وحابسٍ ومحبوس ، وخصبٍ وجذب ، وحزنٍ وفرح ، وفقرٍ وغنى ، ومنامٍ ويقظة.

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾: من أحسن القصص؛ قصص الرؤى المبشرة ، تأمل: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾: ليأتي بعدها مباشرة ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ ﴾.



﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: قصص القرآن في مبناها ومعناها ومغزاها ، خلافاً للقصص والروايات العبثية ، الفارغة من الغايات المحمودة.

﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: كل قصة إن سمعتها مرة؛ فإنك قد تمل من سماعها في المرة الثانية؛ إلا قصص القرآن ، فمن أكثر من ١٤٠٠ عام وهي تزداد توهجاً .

﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾: كل عبد لا يتدبر القرآن ولا يتعلمه يكون من الغافلين.

﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾: من أعظم دلائل النبوة نزول القرآن بقصص لا عهد للنبي ﷺ ولا للعرب بها.

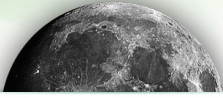
﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾: التعبير عن عدم العلم بالغفلة؛ إجلالاً لقدر النبي ﷺ .

## رؤيا عجيبة !

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا  
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ﴿٤﴾

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾: لن ييوح لك ابنك بأسراره وخواطره إلا إذا وجد منك روحاً قريبة وقلباً رحيماً.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾: لا تبخل على نفسك باستشارة أبيك؛ فإنه يفتح لك آفاقاً مغلقة عليك.



﴿يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ﴾: قالوا إن بين رؤيا يوسف ووقوعها أربعين سنة ، وأحدنا يرى ما تُبشِّرُ به الأمة فيستعجل وقوعها بعد شهرٍ أو سنة!!

بين ﴿يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ﴾ و ﴿يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ تاريخٌ؛ كله أحزانٌ ، وابتلاءاتٌ ، ومواجهٌ ، وصبرٌ كالجبال.

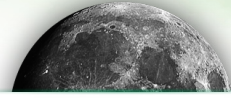
﴿يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ﴾ ، ﴿يَبْنِيَّ إِنِّي أَرَى﴾ في أسر الأنبياء يحكي الابن لأبيه ، والأب لابنه ، في تلاحمٍ مبهج.

﴿يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ﴾ ، ﴿وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَأَبَّتْ﴾ نفس العبارة ، (يا أبت) هو هو لم يتغير؛ تأدبٌ وتوقيرٌ وخفض جناح للأب؛ لم تغيره الأيام ولا الخزائن ، وهكذا ينبغي أن نكون مع آبائنا ولو حصلنا على الدكتوراه وغيرها من الشهادات أو الوظائف المرموقة.. نبقى صغاراً مهما بلغنا أمانهم .

﴿يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: إذا لم يكن الوالد هو الملاذ الآمن لكل ما يُفزعُ الابن فسيكون ملاذه مناطق أخرى ملغومة!

﴿يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: حينما يطمئن الطفل لوالده؛ سيحكي له غرائب ما مرَّ به عليه.

رؤيا الصبي تصدق! ليس من شرط الرؤيا البلوغ ، وينبغي أن يفزع إلى أبيه أو أمه لتعبيرها ، سيما إن كان من أهل العلم والفضل.



﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: لم يقل: رأيت في المنام؛ اكتفى بدلالة السياق. احذف من كلامك الحشو الذي يفهمه المستمع ببدايته ، أما إذا كان الكلام ذا شأنٍ وخطر؛ فيجب التوضيح وفكّ الغموض كما في رؤيا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل فقال له: «يا بني إنني أرى في المنام أنّ أذبحك» ففصل ولم يختصر لأن القضية متعلّقة بذبح الابن! فتأمل.

﴿يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: لا تهمل الصغار ولا رؤاهم فقد تقع ، وقد يكون لها شأنٌ عظيمٌ في الأمة.

﴿يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمَا لِي سَجْدَيْنِ﴾: إدخال السرور على قلب مسلم عملٌ يحبه الله ، فكيف بوالديك؟! بشرهم بأخبارك السّارة. ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمَا لِي سَجْدَيْنِ﴾: ستعرف بعد وفاتهما كيف تُظلم حياة المرء.

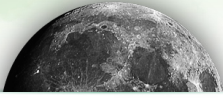
## من يفسر لي حلمي؟!

﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا  
إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

﴿قَالَ يَبْنَى﴾: أين من ينادي ابنه بأسماء الحيوانات ، وبأقبح الصفات؟!؟

﴿قَالَ يَبْنَى﴾: تحبب إلى طفلك ، وناداه بلفظ البنوة ، اغرسها في قلبه صغيراً؛ علّها تُثمر فيه البرّ كبيراً.





﴿لَمْ تَسْهَلْ﴾ يَتَأْتِ ﴿عَلَى يَوْسَفَ﴾ إِلَّا لَمَّا سَهَلْتَ ﴿يَبْنَى﴾ عَلَى يَعْقُوبَ ﴿... هَذَبَ﴾  
خطاب ابنك برفع مستوى خطابك معه.

﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾: وَضَحَ مَرَادَكَ وَأَفْصَحَ خَطَابَكَ مَعَ الصَّغَارِ؛ لَاحِظْ فَكَ  
إِدْغَامَ تَقْصَّ إِلَى «تَقْصِصْ».

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾: أَحَبَّ يَعْقُوبُ يَوْسُفَ حَتَّى قَالَ (لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ) ، فَابْتَلَى بِفَقْدِهِ  
حَتَّى قَالَ: (يَا أَسْفَى عَلَى يَوْسُفَ) ... إِنْ أَحْبَبْتَ شَيْئًا فَوُطِنَ نَفْسَكَ عَلَى فَقْدِهِ لِيَعْلَمَ اللَّهُ تَوْحِيدَكَ لَهُ.

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾: بَرَاءَةُ الْأَطْفَالِ تَجْعَلُهُمْ يَخْبِرُونَ بِمَا يَقَعُ لَهُمْ؛ فَعَلَى الْأَبْوِينَ  
تَحْذِيرُهُمْ مِنْ بَثِّ خُصُوصِيَّاتِهِمْ دَفْعًا لِلضَّرَرِ أَوْ الْحَسَدِ.

﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: هُنَاكَ نَفُوسٌ ضَعِيفَةٌ..  
حَتَّى الرُّؤْيَى وَالْأَحْلَامُ تَسْتَنْزِفُ طَاقَةَ الْحَسَدِ لَدَيْهَا! حَسَدُوهُ عَلَى رُؤْيَا؛ فَكَيْفَ بِالْوَاقِعِ ؟  
فَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ نَفْسٍ (تَقْهَرُهَا) رُؤْيَا!

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: قَدْ يَقَعُ الْحَسَدُ عَلَى رُؤْيَا فِي الْمَنَامِ ،  
فَيَجِبُ إِخْفَاءُ النِّعَمِ عَنْ بَعْضِ الْأَنَامِ.

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ﴾: لَا تَقْصِصْهَا فَتَوَقَّدَ النَّيْرَانُ حَوْلَكَ.

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى جَوَازِ تَرْكِ إِظْهَارِ  
النِّعْمَةِ عِنْدَ مَنْ تَخْشَى حَسَدَهُ وَكَيْدَهُ ، فَمَا بِالْكِ بِمَنْ يَنْشُرُهَا عِبْرَ الْآفَاقِ ؟

﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلُ  
فِي أَنَّ الرُّؤْيَا لَا نَقْصُصَهَا عَلَى غَيْرِ شَفِيقٍ وَلَا نَاصِحٍ، وَلَا عَلَى مَنْ لَا يُحَسِّنُ التَّأْوِيلَ .



﴿لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: في النفوس البشرية مقاومة شرسة للمتفوقين ، لا تظهر تفوقك إلا عند الاضطرار.

﴿يقول أحد الدعاة: كنت أظن أن الشيء الوحيد الذي لا يصل إليه الحساد هو أحلامنا بالليل ، حتى قرأت قول نبي الله يعقوب ﷺ لابنه ﴿لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.﴾

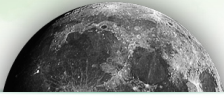
﴿اتقاء الحسد من سنة العقلاء والأنبياء﴾ ﴿قَالَ يَبْنَىٰ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾.

﴿قَالَ يَبْنَىٰ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: ليس شرطاً أن يعبر المعبر كل الرؤى! بعض الرؤى يكتفى معها بالتوجيه العام.

﴿لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: لا بأس أن تحذر الأخ من إخوته والرجل من قريبه إن علمت الشر فيهم يقيناً ، وليكن تحذيرك مرتدياً ثياب الحكمة والعقل. ﴿قَالَ يَبْنَىٰ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: طاقة الحسد قد تتيقظ لدى الأقربين ومن تربطك بهم علاقة أكثر من غيرهم.

﴿قَالَ يَبْنَىٰ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: قصّ الرؤى والأحلام وغرائب الأمور على الآخرين عادة إنسانية عتيقة ، توارثتها الأجيال البشرية ، وأتت الشرائع بتهذيبها وتأطيرها.

﴿قَالَ يَبْنَىٰ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: ينبغي للمربي الشفيق أخذ الحيطة والحذر لمن تحت يده ، وعدم تعريضه لأسباب الكيد والحسد -التي يلقاها الشيطان- من الأقران.



﴿ قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾: عرف يعقوب تأويل الرؤيا ، ولم يبال بذلك ، فإن الأب يود أن يكون ولده خيرًا منه ، أما الأخ؛ فقد لا يود ذلك لأخيه.

﴿ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾: لا تُصدم بحسد إخوتك لك ، نبيُّ لم يَسلم.

﴿ أَلَمْ تَسْمَعُوا عَنْ كَيْدِ الرِّجَالِ فِي قَوْلِ يَعْقُوبَ: ﴿ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ ؟! وللعلم: كيد الرجال ذكر قبل كيد النساء.

﴿ قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾: وكأنَّ علم تأويل الرؤى فيه نوعُ وراثَةٍ ؛ ألهمه الله يعقوب وبنيه ، نهاه عن قصّها عليهم لئلا يفهموها فيكيدوا له بسببها.

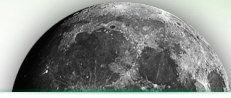
﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾: دلالة على تحذير المسلم أخاه المسلم ممن يخاف عليه ، ولا يكون ذلك داخلًا في الغيبة.

﴿ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾: امرأة العزيز كادت ليوسف (حبًا) ، وإخوة يوسف كادوا له (حسدًا).

﴿ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾: نهاه وبين له السبب؛ أسلوبٌ تربويٌّ رفيع.

﴿ مَا كَادَ أَحَدٌ لِأَحَدٍ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ بِنَزْعِ الشَّيْطَانِ ﴾: ﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾.

﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾: قد نشق فيمن نُحب ، ولكن لا نأمن عليهم الشيطان.



﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: وجه المتربي إلى أصل الشر ، حتى لا يستغرق في احتقان تجاه الآخر.

﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: إذا كان ذلك بين إخوة - أبوهم واحد - فكيف بغيرهم؟! فلنحذر الشيطان وخطواته؛ فهو العدو الأول.

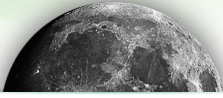
﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ونهاية القصة: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ ، الشيطان هو العنصر الأخطر في بؤس البشر.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: الاصطفاء والتعليم من الله؛ فلا تغتر بنفسك ، واذكر فضل ربك.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: كأن يوسف غرق في التفكير السلبي ، إخواني يكيّدون لي ! فنقله أبوه إلى آفاق التفكير الإيجابي ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: ألقاه الحاسدون في الحب ، وباعه السماسرة بثمن بخس ، وألقاه العاشقون في السجن ، وجعله العقلاء وزير مالية ، وسجد المحتاجون له ، فلا القصر علامة الحب ، ولا السجن علامة الكره ، ولا الملك علامة الرضا؛ إنما الأمر كله: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ﴾.



﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ﴾: لا اجتباء إلا بابتلاء.

﴿من أدب التعبير حسن التبشير﴾ ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ﴾: فلا ينبغي لمن رأى رؤيا أن يقصّها إلا على مُحبٍ لئلا يُفسدها عليه.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ﴾: إذا اجتباك ربك واصطفاك: فعصف المكائد هباء، وخطط الإغراء غباء، وظلام السجون ضياء.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ﴾: من أعظم مظاهر الاجتباء الرباني؛ تعليم الله للإنسان.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: الرؤيا العظيمة التي يراها الطفل قد يُستدل بها على علاقة ستربطه مستقبلاً بالرؤى؛ كأن يكون مُعبّراً.

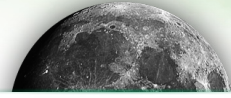
﴿الْأَحَادِيثِ﴾: التحدّث بالرؤى من الفطر المغروسة في النفوس، لذلك اشتق لها من هذا التحدّث اسماً فكانت [أحاديث]، فلا تعاند الناس في فطرهم، ما لم يبالغوا فيها.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ﴾: الله ﷻ يجتبي من يشاء من عباده ويصطفي؛ إنعاماً عليهم وبلاءً، تأمل كيف لم يجعلك الله جماداً، ولم يجعلك كافراً، ولا من أهل الكبائر ولا البدع، فاحمد الله على اجتباؤه.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ﴾: قل لطفك المميز: «يا بني ربي هو الذي علّمك».

﴿وَيُؤَمِّرُ نِعَمَتَهُ﴾: سل الله النعمة؛ فإن وهبك إياها فاسأله تمامها، وتأمّلها أن تكون سبباً في دخولك الجنة.

﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾: علّم الطفل نسبه وأصله، وذكره بآبائه وأجدادهم ليقنّدي بهم.



﴿أَبُوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾: في الآية فائدة وهي : أن الجد أب.

﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾: ربط الأبناء بأقاربهم الصالحين؛ منهمجُ نبوي.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ سمع لوصية من أبيه ، فلا تحقر

كلماتك لأبنائك: ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾.

﴿وَتَبَتُّ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: صلاح الآباء يدرك الأبناء: ﴿وَتَبَتُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ

مِنْ قَبْلُ﴾ ، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] وذلك فال حسن ينبغي استحضاره.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: خاطبه أبوه وهو طفل بأن البلاء يقع بعلم الله وحكمته ، ثم

ظهر أثر هذه التربية الإيمانية في آخر السورة وهو كبير « إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ».

## اقتباس

يود البعض (حجب) رؤيا الخير عنك،  
فنعوذ بالله من نفس (تقهرها)  
رؤيا!

## وبدأت المؤامرة



ما علموا أن الحبَّ لا يغادر مع الأجساد!

فليس كل ما غاب عن العين غاب عن القلب!







## آيات للسائلين ..

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلِّسَّالِينَ ﴾ ﴿٧﴾

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلِّسَّالِينَ ﴾: كلُّ سائلٍ سيجد جوابه في قصة يوسف؛ السجين ، السياسي ، المعبر ، المبتلى ، العالم ، المفتون.

سيجد الإجابة عن: الكرب ، فقد ، الفتنة ، الغربة ، العدا ، الغيرة ، الاتهام ، السجن..

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ﴾: المظلوم منصور .. خَلَدَ اللهُ ذِكْرَهُ ولم تُذَكَّرْ أسماؤهم.

﴿ وَإِخْوَتِهِ ﴾: أعمق جرح يبقى في صدرك هو ذلك الذي جاء من ناحية أخيك؛ لأنَّه جاء من الناحية التي كنت تظنُّ أنه لن يأتيك منها إلا الأمان.

﴿ وَإِخْوَتِهِ ﴾: مشكلة أخيك الذي ظلمته ، أنَّه مهما بلغت درجة الظلم والقطيعة بينكما فسيبقى أخاك! يخترق أحلامك ليلاً ، يتسلل إلى كلماتك دون ترتيب ، ويظهر على سطح ذكرياتك فجأة.

﴿ وَإِخْوَتِهِ ﴾: كلمة [الأخ] فيها من الدفء والعطف والراحة ما فيها ، من المحزن أن تقتنر بالظلم والقهر والدموع ، فلا تسمع بعدها كلمة «أخ» ، إلا وقلت من شدة القهر: أخ!

﴿ ءَايَاتٌ لِلِّسَّالِينَ ﴾: لو لم تبق من الصفات البشريَّة غير ثلاث صفات ، فأظنُّ أنَّ التساؤل وحب طرح الأسئلة ستكون إحدى تلك الصفات الثلاث!



## كل ذي نعمة محسود ..

﴿ إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا مَنَا وَنَحْنُ  
عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

﴿ لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ ﴾: يعقوب أحبّ ابنه ، والمرأة أحبّت خادمها ، وإخوة يوسف أحبوا أنفسهم ، حتى الأقدمون مشكلاتهم الحب ، ولكن الناجح من أحبّ الله كيوسف.

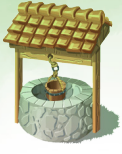
﴿ لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ ﴾: لم يظن أحد أن هذا الحب سيوصل يوسف إلى غيابة الجب! كم من مقدّمة لا تدل على نتيجتها.

﴿ أَحَبُّ ﴾: غالبية من حولك لا يطالبونك بأن تحبهم فحسب؛ بل بأن يكونوا الأحب إلى قلبك! عندما تغدو [أفعل التفضيل] أزمة..

﴿ إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مَنَا ﴾: هذا هو المبدأ لكل حسد .. لماذا هو وليس أنا ؟ وبعدها تبدأ حرب المكر والكيد.

﴿ إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مَنَا ﴾: ليس من المناسب دائماً إظهار مشاعر الحب ، تأكد من سلامة قلب السامع والمشاهد !!

﴿ إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مَنَا ﴾: هنا تبدأ القصة بالشعور أنه طرف آخر ، فلم يعتبروا أخوته لهم؛ فلا تعبر عن أخيك بضمير الغائب.



الحب القلبي لبعض الأبناء منحةً ربانية ، لكن الواجب العدل بينهم فيما سوى ذلك ﴿إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا﴾ فلا تفرق بين أولادك - وإن أحب قلبك أحدهم - فهو باب فرقةٍ وضغينة؛ عليك بسده.

الغيرة قد تُعمي ذا البصيرة ، ﴿أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: يرون أن الاهتمام بالصغير تفضيلٌ عليهم وضلالٌ.

(الغيرة) بين الإخوة والأخوات نارٌ تتوقد ، تذكيها أدنى كلمةٍ أو تصرفٍ من الأبوين ﴿لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: فالحذر.

﴿أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: لم يحسده الحاسدون على المال؛ فعطايا القلب أئمن من عطايا اليد.

﴿أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ ، ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُونُسُ﴾ حاربوه في الحب .. ثم حاربوه في ذكرى الحب.

﴿أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: الحاسد دائماً يحاول أن يُظهر أن محسوده لا يستحق أن يُحسد.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: من أخطر الأمراض النفسية القلبية التي تعرض للمجتمعات أن يرى الأفراد المجتمعون على أمرٍ واحد استحقاقهم التميز على غيرهم لمجرد اجتماعهم.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: هناك أزمةٌ حقيقيةٌ في الذهنية البشرية لا يمكن أن تزول ، إنها أزمة العدد ، أزمة الأرقام الكبيرة ، الانبهار بها ، تعظيمها ، تقديسها ، عسر الخروج عن سطوتها!



﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: هذا اتهامهم لأبيهم وهو نبي الله ، فكان موقفه (فصبر جميل) ! إنه لدرس عظيم لكل أب يجد كدرًا أو اتهامًا من أبنائه.

﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] سَمَّوْا حَبَّةَ لَابَنِهِ ضَلَالًا مُبِينًا ، وذكره له ضلالًا قديمًا؛ مشكلةٌ إن كان ميلك الطبيعي سببًا في رميك بالضللال.

حين تشتعل العاطفة يطيش العقل ويتخبط في الأحكام حتى يقع في تسفيه ذوي الأحلام ، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ نسوا أنه نبيٌّ! وأخطر من ذلك أن يخرج من مجرد الأوهام إلى التجني والعدوان بمسوغاتٍ فاسدة ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُهُ أَبَيْكُمْ﴾.

الطباع البشرية السلبية لا يخلو منها بيتٌ وإن كان بيت نبوة ، فكيف يأمن أحدنا من نزغات الشيطان بين الإخوان؟!

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا نَجْنُ عُصْبَةٌ﴾ والنتيجة: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ! مقدمتان خاطئتان أدتا إلى نتيجةٍ خاطئة ، فحبُّه ليوسف ليس خطأ ، وكونهم عصبَةً ليس سببًا للتفضيل.

### ومضة

الحب القلبي لبعض الأبناء منحةٌ  
ربانية، لكن الواجب العدلُ بينهم  
فيما سوى ذلك..



## وبدأت المؤامرة ..

﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ  
وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ ٩

﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ ﴾: ما علموا أن الحب لا يغادر مع الأجساد! فليس كل ما غاب عن العين غاب عن القلب!

﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ ﴾: لأجل الانفراد بحب أبيهم أرادوا قتل أخيهم! يصلح دليلاً للمثل المشهور: (ومن الحب ما قتل!).

﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ ﴾: الله يكفيك شرَّ بعض الاتفاقيات والاجتماعات المغلقة.

﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ ﴾: يحب ابنك أن تُقبلَ عليه وتؤانسَه؛ فلا يشغلك عنه أحدٌ ولو كان ابناً آخر ، فضلاً عن صاحبٍ أو زميل.

﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ ﴾: التنافس على الظهور والحظوة لدى الناس يؤدي إلى إضمار الشر والرغبة في التخلص من الأقران.

﴿ يَخْلُ ﴾: التفرد والرغبة في الاستحواذ وعدم المشاركة داءٌ بشريٌّ مقلق.



## وبدأت المؤامرة |

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: المحبة مدارها على القلب لا على العين ، فقد تزهد في قريب حاضر ، وترغب في بعيد غائب.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: من أعظم ما يُسعد الأبناء أن يروا وجه والدهم مقبلاً عليهم بالحب والاهتمام: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ ، فهل ندرك ما في نفوس أبنائنا ؟

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: من شؤم مكرهم أن ابتلاه الله بفقد البصر ، فعاقبهم الله بنقيض قصدهم.

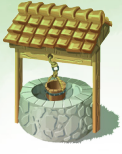
﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: حين نغار على من نحب ، تدفعنا الغيرة إلى طرد منافسينا من قلوبهم ، فنوقد نيران الشوق حتى لا نجد نحن مكاناً فيها ، كادوا ليوسف ليخلو لهم وجه أبيهم فتولى عنهم!

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: يظنون بهذه البساطة أنه ينسى زهرة روحه ، وثمره فؤاده؟! واهمون؛ فالفراق - ولو طال - قد يُطفئ نور العين ، ولكن لا يطفئ نار الحب.

﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾: لم تكن فكرة القتل الشنيعة لتُهضم لولا تلطيفها بفكرة التوبة المستقبلية! احذر من زخرفة القبح.

﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾: باب الخير لا يُفتح بالشر .

﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾: خطوات الشياطين في تحسين القبيح وتزيين المنكر؛ تجعل النفس تعمل السوء وهي مقبلة بسبب عمى البصيرة عن الحق.



﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾: قد ينتج أعظمُ الفساد الآني .. من فكرةِ الصلاحِ المستقبلي.

﴿ لا تتقن بنفسك كثيراً عندما تنوي التوبة بعد نيةِ المعصية والإصرار على إتيانها ، فإخوة يوسف قالوا: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ فلم يتمكنوا؛ فالتوبة التي تُعدُّ سلفاً قبل ارتكاب الجريمة ليست بتوبة ، وإنما هي تبريرٌ يُزيّنهُ الشيطان ، وربما كانت عقوبة الذنب الحرمان من التوبة المعزوم عليها.

﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾: من أعظم أسباب الجرأة على المعصية: تقرير التوبة قبل ارتكابها. [ابن تيمية].

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ ، ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ ، فاحذر وساوس الشيطان التي تسوّل لك سهولة التوبة بعد المعصية؛ فإنك إن عصيت أنساك أن تتوب .

﴿التسوية آفة التوبة وسراب المذنبين؛ ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ .. من يضمن أن يُمدَّ له في عمره؟! من يضمن أن يُشرح له صدره؟!

﴿إخوة يوسف كانوا أبناءَ نبي ، وأحفادَ نبي ، وأخوهم نبي ، ومع ذلك صدرت منهم تلك الأفعال؛ فالنسب والشرف لا يقدّسان أحداً ، تقدسك أفعالك!﴾

﴿قد تكون النعمة فتنة؛ ففُرب يوسف ﷺ من والديه وحبُّهما له كاد أن يتسبب في قتله من إخوانه ، وجماله وعفته أدباً به إلى السجن.





بين خضم ﴿ أَقْنُلُوا يُوسُفَ ﴾ و ﴿ لَا تَقْنُلُوا يُوسُفَ ﴾ .. كان يوسف في مكانٍ آخر .. منهمكاً في طفولته ، لا يدري أنّ هناك من يخطط ليُنهي طفولته البريئة!

ما بين ﴿ أَقْنُلُوا يُوسُفَ ﴾ و ﴿ لَا تَقْنُلُوا يُوسُفَ ﴾ دارت أظلم اتفاقية ، شرّدت صبيّاً بريئاً ، وأحرقت قلب شيخٍ كبير ، ودمرت أحلام أسرةٍ هائلة.

بقي إخوة يوسف بعد فعلتهم سنين طويلة -قيل أربعين- ينتظرون خلّو وجه أبيهم ، فما نالوه ، والكيد بيوسف؛ فما استطاعوه ، وهذه عاقبة المكر السيء.

من شؤم الذنب أنه يستتبع بعده ذنباً متعددة ، فإخوة يوسف لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيهم احتالوا لذلك بأنواع الحيل ، وكذبوا عدة مرات ، وحبكوا على أبيهم قصةً أحكموا أطرافها.

هل دار بخلد الإخوة وهم يخططون للتخلص من يوسف أن أمرهم سيُفضح في كتاب مقدس ١٩ ، وفي سورةٍ تحمل اسمه ٢٠!

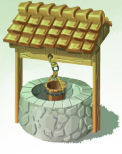
## غيابة الجب ..

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْنُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهٖ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ  
يَلْقِظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (١٠)

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْنُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهٖ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ ﴾ : من بين الأحجار القاسية قد تجد حجراً رقيقاً ذا ملمسٍ ناعم!

﴿ قَائِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ : إذا عرف الله صدقك؛ فليس مهماً أن يعرف الناس اسمك.





﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا نَقْنُلُوا يُوسُفَ ﴾: خَفَّفَ الشر ما استطعت ، وإن لم تستطع أن تدرأ المفسدة؛ فحفظها.

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا نَقْنُلُوا يُوسُفَ ﴾: كان مجرد اقتراح لكنه أنقذ مصر من المجاعة وغير مسار التاريخ؛ فلا تحقرن فكرة أو رأياً.

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا نَقْنُلُوا يُوسُفَ ﴾: يُسَخِّرُ الله لك من أراد أذيتك بلا شعور منه ، فينطقه الله بما ينفعك؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

﴿ لَا نَقْنُلُوا يُوسُفَ ﴾: مُحْزَنٌ أن تبدو الرحمة في شكل رفض القتل؛ حتى يظهر أن أكثر الموجودين حناناً ورحمةً هو ذلك الذي يرفض القتل ، ويرضى بما دونه من التعذيب والتنكيل!

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا نَقْنُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ ﴾: حتى أصحاب النوايا السيئة تتفاوت نواياهم في السوء ، والشر والعداوة مراتب ودرجات ، والخصوم يتفاوتون ضراوةً ونكايةً ، وقد يدفع الله ببعضهم شر بعض!

﴿ لَا نَقْنُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ ﴾: لم يقل الجب ، وإنما قال: ﴿ غَيْبَتِ الْجُبِّ ﴾ قد تجبرك وحشية الآخر أن تتوحش لغتك حتى تناسبه حلولك!

﴿ لَا نَقْنُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ ﴾: بعض النفوس الضعيفة لا تستطيع أن تقول الحق كاملاً ؛ لكن تستطيع أن تخفف بعض الشر ، فإن اتفقت العصبية على شر أو معصية وأنت فيهم؛ فليكن لك موقف صدق ولو بتخفيف الشر ما استطعت.

﴿ لَا نَقْنُلُوا يُوسُفَ ﴾: الألفاظ كانت تحوط يوسف؛ فمن بين مكائد إخوته ارتفع صوت: ﴿ لَا نَقْنُلُوا يُوسُفَ ﴾ وفي عمق البئر جاءته صرخة: ﴿ يَبْشُرَى ﴾ وفي أولى خطواته نحو



القصر سمع همسة: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَهُ﴾ ولحظة إصاق التهمة به في بيت العزيز ارتفعت شهادة: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وفي آخر أيام السجن جاءه اعتراف: ﴿أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وقبيل خروجه من السجن جاءته رسالة: ﴿أَتُؤْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾.

﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَبَتِ الْجُبِّ﴾: فصيرَه الله على خزائن الأرض ورفعَه ! كم في غيابات البلايا من منح ! فتق بربك وانتظرها ولا تعجل.

﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَبَتِ الْجُبِّ﴾: مَنْ حفظه الله؛ ما ضرَّه - ولو رماه الناس - !

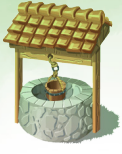
﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَبَتِ الْجُبِّ﴾: ألقوه .... لكن رفعه الله !  
أسقطوه في البئر فرفع على عرش الملك ، فلو أجمع من حولك على الكيد بك ، فلن يكون إلا ما أراد المولى ﷻ لك .

﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَبَتِ الْجُبِّ﴾: اليد التي امتدت بالظلم ربما تمتد يوماً ما بطلب الإحسان «وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا».

﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَبَتِ الْجُبِّ﴾: كم هو مؤلم أن تلقى في زاويةٍ معتمَةٍ من زوايا الحياة ، واليد التي تلقيك هي يد أقرب الناس إليك.

﴿يَلْقِظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾: يوسف النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم جاء عليه وقتٌ كان فيه لقيطاً! فربما يسبق الوهاد الطريق إلى القمة.

﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ﴾: من أساليب إسقاط رأي خصمك أن تقولَ (إن كنت فاعلاً).



## ﴿قَالُوا يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمِنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ﴾ (١١)

﴿قَالُوا يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمِنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾: لا يعلم الابن أن دسائسه مفضوحة، ونظراته مكشوفة، وهمساته مسموعة عند والده!

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمِنَّا﴾: عندما ولجوا من باب الخيانة؛ كان أول ما طرَقوا موضوع الأمانة! تنبّه لأول موضوع يطرحه خصمك فقد يكمن الطعم فيه.

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمِنَّا﴾: استخدموا لفظ الأمن في الوقت الذي قرروا فيه زعزعتة! دقق في عبارات و ألفاظ الآخرين؛ فإنها قد تحوي شيئاً من أفكارهم.

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمِنَّا﴾: حرص الولدين على ابنهما في عدم خروجه من البيت أو ذهابه مع أصحابه أمر طبيعي. ينبغي أن يدرك الأبناء أنه من تمام حبهما لهم.

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمِنَّا﴾: توفير البيئة الآمنة للأبناء واجب تربوي.

للتودد وحسن التآتي أثرٌ عجيب في الإقناع حتى مع أصحاب النفوس الكبيرة والعقول الراجحة، ﴿يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمِنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾.

قد يتظاهر الإنسان بالخير والنصح وهو يُضمر شراً، وهو أسلوبٌ شيطاني ﴿قَالُوا يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمِنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ﴾: وصفوا أنفسهم بالنصح؛ لأنهم علموا أن الناصح يستحيل أن يؤذي المنصوح، إذا رأيت ناصحاً فتمسك به؛ فإنه الأمان.



❁ امتنع عن إرساله معهم ، فلما راجعوه وألحوا عليه ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾ نحن أبنائك وهو أخونا ، نحيطه ونحميه ، وأقسموا ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُون ﴾ فلا تغتر بنصح من لا تثق فيه ولو أقسم.

### ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ (١٢)

❁ ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدًا ﴾: لم يطلبوا أن يرسله معهم في نفس اليوم ، وإنما في الغد؛ لأن الطلبات الصعبة تحتاج إلى وقتٍ كافٍ حتى يقتنع بها الآخر.

❁ ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدًا ﴾: الحقد يبحث عن أقرب فرصة لتنفيذ مخططاته.

❁ ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَا ﴾: لا عليه أن يرسله يعقوب معهم صبيًا اليوم؛ لأن الله سيرسله إليهم نبيًا في الغد!

❁ ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب ﴾: اللعب غريزة لدى الأبناء ، حتى أبناء الأنبياء يحبون اللعب؛ فلا تقتل فرحة طفلك.

❁ عندما قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُون ﴾ ، ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ ، فإذا به يجيبهم بنفس سياق كلامهم ﴿ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ أسلوبٌ بارع.

❁ ضرورة الحذر من الدعاوى العريضة: ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُون ﴾ ، ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ ومن استغلال ثغرات الضعف: ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب ﴾.



﴿وَأِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ﴾ ، ﴿وَأِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ خلا كلامهم من ذكر الله.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ  
الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (١٣)

﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾: وطن قلبك على فقد الأعبة.

﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾: حتى الأنبياء تحزنهم لحظة الفراق ، اللهم هون علينا فراق أحبتنا.

﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾: لا تهمل إحساس الوالدين ، وحدسهم؛ واجعله في عين الاعتبار.

﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾: مجرد غياب ابنه عن عينيه يحزنه؛ فلا توجعوا قلوب والديكم بغياب طويل.

﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ﴾: من الشقاء أن تكون سبباً في حزن والديك وهلعهم.

﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾: عندما رأى الله شدة تعلق وحزن قلب نبيه على ابنه جعل عينيه تبيضان من الحزن؛ تعلق بالله وحده.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾: مجرد الفراق يحزنه ! لا تعارض بين أعباء الدعوة والمشاعر الجياشة .



﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ﴾ لا تكتم مشاعرك؛ فالأنبياء ييوحون بمشاعرهم الطاهرة ، ليس عيباً أن تُعبر عما في قلبك .

﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ﴾ حَزَنَ لمجرد الذهاب به عنه ، ثم تتابعت الأحزانُ بعد ، لكنها ختمت بفرح لا حزن بعده.

﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ﴾ الخوف الطبيعي لا يُنقص الإيمان.

﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ لا تعط الآخرين السيف الذي يفتالونك به ، لا تساعدهم في مخططاتهم بحسن نية!

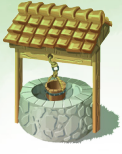
﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ ، ﴿ فَأَكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ قد يستفيد أهل الباطل من أخطاء المصلحين!

﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ قال يعقوب عليه السلام: ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ ثم قال أبنائه: ﴿ وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَأَكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ . كم من حُجَّةٍ ألقيناها لأعدائنا ونحن لا نشعر.

﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ كان خوفه من الذئب وليس اعتراضاً على اللعب ، فحُسن تربية الطفل لا يعني منعه اللعبَ المباح!

﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ يقول هذا وهونبي ، وقد علم من رؤية ابنه أنه سيكبر ويكون له شأن ، ولكن القلب داخله هموم لا يزال بحاجةٍ إلى الطمأنينة ، «قال بلى ولكن ليطمئن قلبي»

﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ ، غاب عنه ابنه ، ولما قال: ﴿ فَأَلَّهِ خَيْرٌ حَفِظًا ﴾ عاد إليه ابنه.



﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ ، ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾: لولا أنَّ في المنطقة ذئبًا لما خافها يعقوب عليه ، ولكذبهم في زعمهم ، فالفجَبُ كيف أنهم حمَّوه من الذئب حين أخفوه عن الذئب في الجب وهم لا يشعرون! ولو تركوه لربما أكلته الذئب التي كانت تطوف الربوع ليلاً! فسبحان الله كيف حفظه من مكرهم بمكرهم!

﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ التماس العذر للآخرين وإحسان الظنَّ بهم: ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ ، ولاحقًا: ﴿يُوسُفُ: ٨٩﴾.

## ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ فاعرضوا عن الأول عجزًا؛ لأن المشاعر لا يملكونها ، وأجابوا عن الثاني ﴿لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾

﴿لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾: المكر في أسلوب الكلام واضح ، يخافون على سمعتهم لا على يوسف.

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: حتى الذئب يخشى من الجماعة.

﴿إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ قول الحق قد يراد به الباطل ، فحكمهم على أنفسهم بالخسارة إن أكل الذئب أخاهم حق ، لكنهم ما قالوه إلا استدراجًا.





﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ، وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَّبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٥)

﴿ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَّبَتِ الْجُبِّ ﴾ ، ﴿ إِذْ أَجْمَعُوا ﴾ ، هذا إجماعٌ على ضلالةٍ ولا شكٍّ؛ فليس كلُّ إجماعٍ على حقٍّ!

﴿ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَّبَتِ الْجُبِّ ﴾ : الإسقاط والإبعاد؛ وظيفة الحساد.

﴿ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَّبَتِ الْجُبِّ ﴾ : كم من يوسف جعله المجتمع في جب الإبعاد ثم مكن الله له وخرج لينفع من أبعده وعادوه.

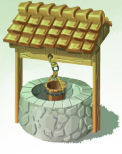
﴿ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَّبَتِ الْجُبِّ ﴾ : رفقاء السوء لا يفكرون إلا في مصالحهم حال اجتماعهم على ضلالةٍ ، حتى لو كنت أخاً شقيقاً لهم.

﴿ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَّبَتِ الْجُبِّ ﴾ : الذي سقط في اختبار البئر هم إخوة يوسف ، وهو من علا وارتفع!

﴿ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَّبَتِ الْجُبِّ ﴾ : لم يدر في خلد حافري ذلك البئر أنه سيكون سجيناً لنبي! كم من مكان عادي تحتفظ ذاكرته بمشهد أليم.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، سنة الله مع أوليائه ألا يتركهم؛ فمن قلب طوفان اليأس .. تأتي مراكب الفرج ، وفي رماد الأحزان .. تنبت زهور الفرح.





﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أشدُّ ما يكون من المصائب والفضائح والبلايا وقعاً على القلوب؛ ما كانت مفاجئة صادمة لا يُتنبأ بوقوعها.

﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾: يحتاج المظلوم أن يقول للظالم: أنت ظلمتني يوماً من الأيام .. أنت عبثت بتاريخي .. أنت لوثت سمعتي .. أنت سخرت بدموعي.

﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: لو اجتمع العالم كله وعقد العزم على مضرتك بأمر لم يكتبه الله عليك؛ فلن يضروك ، أسقطوه في الجب كيذاً ، لكنه أصبح على العرش مُنعمًا.

## ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (١٦)

﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً﴾: الغادر يستتر بظلام الليل وما علم أن الليل يعقبه فجرٌ يُضيء بنور الحق.

﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾: للقلوب القاسية قدرةٌ عجيبةٌ على التباكي وذرف دموع الحزاني. اهتم بتاريخ الباكي ودعك من ملامحه ، فكم من ظالمٍ يُخفي ظلمه خلف دموعه ، فلا تغتر؛ فليس كل ما يلمع ذهباً ، ولا كل من يدمع صادقاً.

﴿جاءوا ببيكاءٍ مصطنع .. وبقميص به دم .. وبسباقٍ مزعوم .. وبقصّةٍ محبوكة .. حقيبةٍ مشبوهةٍ انتفضت بالكذب.﴾



## وبدأت المؤامرة |

﴿وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾: بكاء الخديعة لا دموع فيه ، لذلك قدموا به ليلاً ليستتر الظلام عيونهم الكاذبة؛ فما كل عين دامعة خاشعة! وأصحاب النظرات الزائفة والدموع الكاذبة والمشاعر الزائفة يحضرون في المساء لتسترهم الأضواء الخافتة! فالأنباء السيئة تتشعج عادة بالسواد.

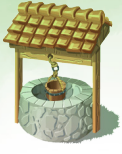
﴿يَبْكُونَ﴾: لكل أذوبةٍ إطارها المناسب! إنهم يبكون حقاً لا يتظاهرون .. الدموع القاتلة.

﴿يَبْكُونَ﴾: قال بعض السلف: إذا اكتمل فجور الرجل؛ ملك عينيه.

﴿وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾: مُسوَّغات الجريمة بحاجة لخبرات عالية في الكذب.

### اقتباس

بكاء المرء لا يدلُّ على صدقِ مقالهِ،  
لا حتمالٍ أن يكون تصنُّعًا؛ فمن الخلقِ  
من يقدرُ على ذلك، ومنهم من لا يقدر.  
القرطبي



﴿ قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ  
مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا  
صَادِقِينَ ﴾ (١٧)

﴿ ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا ﴾: عجيب! البارحة تريدونه أن يرتع ويلعب؟! واليوم جعلتموه حارسًا للمتاع ، وصرتم أنتم الراتعين اللاعبين؟!

﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا ﴾: من الحيل الماكرة أن يعترف المخطئ بتقصير يسير ليغطي على جرمه الأعظم.

﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا ﴾: ألم يكن يوسف عليه السلام هو المقصود باللعب في: ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب ﴾؟! فكان عند متاعهم!!  
لعل هذه من القرائن عند يعقوب عليه السلام .. التي تثبت خلاف ما قالوا.

﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾: ما أقسى قلوبهم حين واجهوا أباهم بمثل هذه الكذبة ، التي حاولوا ترويجها على أبيهم بإثارة شفقتهم عليهم لأنهم أبرياء صادقون.

﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾: لو صدقوا لقالوا «الذئب أكل يوسف» كما صدقوا حين قالوا «إن ابنك سرق» ، ولكن بدؤوا بحبكة في الكلام ثم ثنوا بذكر الذئب.

﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾: ما تضرره النفوس يظهر على فلتات الألسن ، ويكاد المريب يقول خذوني ، ظهر كذبهم وفضحتهم (لو) ، حرف امتناع لامتناع ، أما حين صدقوا قالوا: ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [يوسف: ٨٢].



## ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١٨)

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾: لا تنخدع بالمظهر ولو رأيت الدم عياناً حتى تجلو المخبر ، فقد يكون الأمر مشهداً محبوباً!

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾: قميص يوسف طاهر لم يدنسه الذئب ، لكن من دنسه هم إخوته .. ما أشد ألم ظلم ذوي القربى.

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾: يبدو أن تزوير الحقائق عادةً اكتسبها الإنسان منذ القدم.

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ ، ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ ﴾: لوَّث قميصه في الشام ، ومُزق في مصر ، وظل يوسف طاهراً عفيفاً ، الإنسان ليس قميصاً.

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾: لا أدري كيف ملك يعقوب لسانه وعينه وهو يرى قميصاً ملطخاً بالدم يؤذن بفراق ولده! إنه الإيمان والنبوة.

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾: من علامات فسوة قلوبهم على يوسف أنهم نزعوا قميصه وتركوه بلا قميص ليستعملوه في ترويح كذبهم على أبيهم!

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾: أنت بحاجة لحزمة أكاذيب .. حتى تنضج كذبة واحدة!

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾: والبراءة بقميص: ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ ﴾ ، والبشارة بقميص: ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي ﴾.



﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: كيف يأكله الذئب ولم تسجد له الكواكب بعد؟

**همسة:** كن بمبشرات الخالق أوثق منك مما تراه عيناك؛ «فأكله الذئب» لم تمنح حقيقة «إني رأيته»؛ فتق بالله.. وتجاهل كل الأيمان المغلفة التي تنثرها الحياة من حولك.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: لا تقل للمتريبي: «أنت كاذب».

فراصة المؤمن لا تخيب، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ بهذه الثقة والوضوح، لكنه لم يبن عليه إجراء بل فزع إلى الصبر الجميل.

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾: لا شيء يُخَفِّفُ عنك همومك الثقيلة مثل اليقين بأن ربك خير معين.. نعم الحمل ثقيل، ولكنك لست وحدك، ولذا قالها يعقوب عليه السلام، وقالها عثمان رضي الله عنه عندما بشر بالجنة على بلوى تصيبه، وقالتها عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك.

قال ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾: ولم يقل: «على ما تعملون»، والعجب كيف أدرك أن وصفهم أخطر من عملهم! فاستعان بالله على وصفهم؛ فهم بعملهم لم يقتلوه، لكن بوصفهم أرادوا إيهام يعقوب بذلك، ولو أنه قال: «على ما تعملون» لكان فيه تصديق لكذبهم، فسبحان من أنزل القرآن!

للصدق روحٌ إذا تخطفها الكذب لم تستقم للإنسان حجةٌ بعدُ، ولو توضأ بدموع الندم ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾.

﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾: أمواج الأحزان لا تُفَرِّقُ قلباً تعلّق بالخالق الجليل، وتوشّح بالصبر الجميل، فبعض الظلم، لا يجدي معه الكلام ولا العتاب؛ فهو أكبر من أي كلام.



﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾: حتى الصبر (المر) قابلٌ للجمال ، فالصالحون يزدادون بالبلاء جمالاً حتى صبرهم جميل.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾: الصبر عند الصدمة الأولى ، كلمةٌ يقولها العبد عند أول الإخبار بالمصيبة ، فيها الرضا بقضاء الله وقدره ، فيدخر الله للعبد أجرها ، كما يعجل له في الدنيا ثمرتها.

### فائدة

مسوغاتُ الجريمةِ بحاجةٌ لخبراتٍ  
عالية من الكذب!

﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ  
عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

جَمَعُوا فِي هَذِهِ الْمَقُولَةِ عِدَّةً مِنَ الْعِظَائِمِ:



وَأَشَدُّ هَذِهِ الْأُمُورِ اتِّهَامَهُمْ لِأَبِيهِمْ بِالضَّلَالِ !!





## قصة العفة



مهما تهيأت لك ظروف المعصية استحضر

خوفك من الله وردد:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾





## من البشر إلى القصر ..

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَى  
هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ وَلِلَّهِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٩)

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾: لا تيأس في جب أحزانك.. ستمر قريباً سيارة الفرج.

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾: إذا أراد الله إنقاذك؛ خلق حاجة ما في نفوس بعض خلقه ، يدفعهم بها لينتشلوك من جبك الموحش.

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾: أهمية تقسيم العمل بين الركب.

﴿ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ﴾: لا تستهن بالأشياء ولا بالأشخاص الذين تلقاهم مصادفةً في دلوك أو طريقك أو بجوارك ، فقد يكونون أثمن مما تظن! ولا تستغرب.. فكثير ممن انحشرت أجسادهم في دلاء الابتلاء تربّعوا على عروش التمكين.

﴿ قَالَ يَبُشْرَى هَذَا غُلْمٌ ﴾: طلائع النجاة تبدأ بالتفاؤل في بدايات المحنة.

﴿ قَالَ يَبُشْرَى ﴾: العجب كيف صاح واردهم حين وجد يوسف فقال يا بشرى! وصدق والله بالبشرى ، فكيف لو علم بحقيقة البشرى؟! فقد كان يريد ماءً لقافلة سيارة ، فإذا به يجد الذي به تكون النجاة لمصر كلها عند فقدان الماء سبع سنين!



## قصة العفة |

❁ لا تظن أن الرجال الذين يحيي الله بهم البلاد محصورين في نوعية معينة من البشر ، ولا في طائفة ، ولا في قصور أو جامعات أو معاهد ، أو دول محددة ، أو ما إلى ذلك .. فهذا هو رجل التغيير الأعظم في ممالك مصر .. يوسف عليه السلام يخرج من البدو بل من البئر !!

❁ ﴿وَأَسْرُوهُ بِضْعَةً﴾: لم يخطر في خيالهم أن هذا السر سيفضحه الله في كتاب ينزل من فوق سبع سماوات.

❁ ﴿وَأَسْرُوهُ بِضْعَةً﴾: الجرح الأعظم في حياة شخص أن يحوِّله إخوته إلى بضاعة تباع وتشترى.

❁ ﴿وَأَسْرُوهُ بِضْعَةً﴾: كن على يقين أن حقيقتك لا تغيرها نظرة الناس إليك؛ يرونه بضاعة وهو نبي.

❁ ﴿وَأَسْرُوهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: قد يمهّل الله العقوبة للعبد ، فيظن أن الأمر سائع ، وما علم أن الله يعلم السر وأخفى!

❁ ﴿وَأَسْرُوهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: أخفٍ ما شئت عن الخلق فلن يخفى عن الخالق.

❁ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: ربُّك حكيمٌ؛ كيف تتوالى الأحداث وأنت لا تشعر!

### ومضة

لا يحل بك كرب إلا وهو أعلم به،  
له فيه حكمة وبرحمته يدبر لك منه  
نجاةً وعزًّا بعد هوان.



## ﴿ وَشَرَّوْهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ (٢٠)

﴿ وَشَرَّوْهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ ﴾: إذا أراد الله رفعك فلن يضرك انتقاصهم وازدراؤهم!

﴿ وَشَرَّوْهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ ﴾: واعجباً! نبي في دلو يباع ويشترى بثمان بخس! ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فلا يضق صدرك ، سيجعل الله بعد عسر يسراً.

﴿ وَشَرَّوْهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾: إذا أُعْتِمَ القلبُ بالحسد ، صار أغلى الناس عنده رخيصةً!

﴿ وَشَرَّوْهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ ﴾: ليس كلُّ ما (غلا ثمنه) كان نافعاً؛ فاحرص على النافع حتى لو كان في نظرك زهيداً.

﴿ وَشَرَّوْهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ ﴾: كيف عميت أبصارهم عن بريق جماله؟! عن قطعة القمر المنيرة في ملامحه؟! كيف تنكروا لماء الفتوة الدافق في أعطافه؟! كيف؟!

﴿ أَلْقَى يُوسُفُ فِي الْبُئْرِ ﴾: بيع بثمانٍ بخس ، سجن لسنوات .. الخ. وضعك في الدنيا ليس دليلاً على مكانتك وشخصيتك.

﴿ وَشَرَّوْهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ ﴾: امتدت أكفهم بين يديه بالطلب ، يقولون (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) . قال ابن الجوزي: من عجائب الجزاء في الدنيا أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف.

﴿ أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةً ﴾: قصة يوسف من باعه بدراهم معدودة؛ فلم يكسب برّاً ، ولم يقبض مالاً ، ولم يرّب نبياً!



﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ : كم من سلعة أغلى من بائعها!

﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ﴾ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴿يوسف: ٥٤﴾ قد يُزهدُ فيك اليوم وتكون غاليًا غدًا.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَهُ  
عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي  
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١١)

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ : لو كان البلاء علامة هوانٍ لما جعل الله الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم غلامًا مشررًا ، يخدم في بيتٍ بعيدٍ .

﴿الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ : إذا أردت أن تعرف قيمة سلعة فانظر من يشتريها ، فإذا كان الملوك فهي غاية .

﴿الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ : أكبر صفقة ، وأعظم صفقة في تاريخ مصر ، وأكبرها نفعا .

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ﴾ : عقد النكاح بين الكافرين صحيح ، فسمّاها امرأته .

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ﴾ : الرجل له الإدارة والقوامة حتى في الأمم السابقة .



﴿أَكْرِمِي مَثْوَهُ﴾: كانت هذه أول وصايا العزيز لزوجته ، وكأنه قرأ في عيني زوجته تاريخاً كله عبثٌ بمثوى يوسف!

﴿أَكْرِمِي مَثْوَهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾.

﴿أَكْرِمِي مَثْوَهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْخِذَهُ وَلَدًا﴾: إذا أراد الله بعيداً خيراً ألقى في قلوب من حوله مشجعاتٍ ومحفزاتٍ يبذلون بسببها الخير له.

﴿أَكْرِمِي مَثْوَهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾: بفطرته علم أن الإكرام مجلبةٌ لنفع المستقبل.. والبعض يظن أن ابنه لن يبرّه إلا إذا أهانه وقسا عليه في صغره!

كلُّ يجازيه الله بأعماله؛ من أخرج يوسف من الجب ﴿وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً﴾ ففاته الخير ، وعزيز مصر قال: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَهُ﴾ فأكرم الله بلاده.

﴿أَوْ نَنْخِذَهُ وَلَدًا﴾: وجود التبني قبل الإسلام.

﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْخِذَهُ وَلَدًا﴾: اتخاذ الولد مطلباً أصيلاً يوازي طلب النفع؛ فلا حرج على من لم يوهب الولد أن يكفل من يكون كالولد.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: ما كان شراً في البداية أصبح تمكيناً في النهاية ، سلم أمرك لله؛ فأنت لا تعلم أين الخير. تأمل لطف الله بعبده المحسن؛ أكرم مثواه ، ومكن له في الأرض ، وعلمه من تأويل الأحاديث ، وآتاه حكماً وعلماً ، أنساه مصيبتَه أو كاد.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: سبحانه من جعل الرق سبباً للتمكين.



﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إذا قضى الله أمراً هياً أسبابه ، عبدٌ يباع .. يُتهم في عرضه .. يُسجن ظلماً .. ليكون على خزائن الأرض!

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾: وما دام الله غالباً فكيف نخضع للمغلوب؟!

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾: لا يظهر أثر غلبة الله إلا حين يكون هناك (فرقات بشر) - التخطيط وتبادل المصالح والنفعية والمكر - إلا أنه: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾.

تكرر في سورة يوسف قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في ٣ آيات: (٢١ ، ٤٠ ، ٦٨) ولم يتكرر ذلك في أي من سور القرآن؛ لخفي تقدير الله وعجيب ألطافه.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: لا تستعجل الثمرة في نفسك ، قد تتأخر ، المهم أن تُهيء نفسك.

﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: لم يذكر الله الجمال؛ لأن العطاء الدنيوي لا ينبغي أن يتعلق به القصد والطلب.

﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: أعطاه الجمال ولم يُثني عليه به ، فأنت بمخبرك لا بمظهرك ، الجمال هو الذي أدخله السجن ، والعلم هو الذي أخرجه وجعله عزيز مصر.





﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: الأنبياء لا يتم علمهم وفهمهم ونبوتهم إلا في سنِّ الأربعين .. فكيف بغيرهم؟! فاحرص على الأكابر .

يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَسْتَوَى ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤] ، فموسى عليه السلام قوي.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: الغرف المغلقة التي لا يعلم عن إحسانك وإتقانك فيها أحد .. هي محكُ الإحسان.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: إشارة إلى أن الإحسان من أعظم المهيئات لنيل المقامات العالية.

الإحسان عهدٌ وضمنان ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ، ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦] ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] فأين الواثقون بالله؟

﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الإحسانُ يزيدك علماً.

### همسة

يوسف أُلقي في البئر، بيع بثمنٍ بخس،  
سُجن لسنوات .. الخ، وضعك في الدنيا  
ليس دليلاً على مكانتك وشخصيتك.



## محنة المراودة ..

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٢)

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢) وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا : قدّم الله ذكر إحصان يوسف ، وتعليمه له ، وأخذ الحكم والنبوة على قصة المراودة ، يؤخذ من هذا : إذا أردت الإخبار عن شيء (قد) يُستقبح منه ، ولكنه وقع لشخص فاضل أو حتى لجماعة طيبة؛ فقدم حميد صفاتهم على الواقعة .. كما هو واضح في السورة.

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ : قُرْبُ الوساد واختلاط الأجساد من أعظم أسباب الفساد ، طمعت في يوسف النزيه ، فكيف بمن دونه؟ فالذي سهل على امرأة العزيز مراودة عبدها إنما هو الاختلاط والخلوة. قيل لأعرابية : لم زنت بعبدك لا بحر؟ قالت: أغراني طول السواد ، وقرب الوساد.

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ : امرأة العزيز تراود يوسف ﷺ عن نفسه ، وتتجمل أحسن ما يكون وهو حرام! فما بال الزوجات لا يفعلن ذلك مع أزواجهن وهو حلال؟

﴿وَرَوَدَتْهُ﴾ : كلمة توحى بتغنجها ورفقتها وتذلها وتكرارها المطالبة ، لكنها واجهت أسدا!



❁ فتنة النساء من أعظم أنواع الفتن ، فكيف إذا صاحبها خَلَوَةٌ وخُلُطَةٌ! فكيف إذا كان للمفتون نوعُ سيادةٍ ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ .

❁ ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ : لم يقل (سيدته) احتقاراً لشأنها واستنكاراً لصنيعها ، فمثلاً لا تستحق شرف السيادة .

❁ ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ : اليوم فضيحتك يحتويها البيت؛ «وقال نسوة في المدينة» غداً تتصدّع عنها أسوار المدينة .

❁ قصور الملاء والمترفين موبوءة ومملوءة بفتن النساء والمال ، والسلامة لا يعدلها شيء ، ومن يحُم حولها يوشكُ أن يقع فيها .

❁ ﴿وَعَلَقْتَ الْأَبْوَابَ﴾ : تنشط الشياطين في الغرف ذات الأبواب المغلقة ! لذا فلا تنفرد بشهوتك .. دَعِ الأبواب مفتوحةً ، فكل فتنة وشهوة أبواب فاحذرهما ، وأحكم إغلاقها قبل أن تُغلق عليك .

❁ ﴿وَعَلَقْتَ الْأَبْوَابَ﴾ : هكذا هم المترفون الظلمة ، يظنون أنك ستغير مبادئك بمجرد حبسك خلف الأبواب المغلقة!

❁ ﴿وَعَلَقْتَ الْأَبْوَابَ﴾ : إذا رأيت حذراً شديداً فاعلم أن ثمَّ مكيدةً وخطأً يُطلب إخفاؤه !

❁ ﴿وَعَلَقْتَ الْأَبْوَابَ﴾ : تهيأت للمعصية! وأنت .. هل تتهيأ للطاعة؟

❁ ﴿وَعَلَقْتَ الْأَبْوَابَ﴾ : ولم يقل «وأغلق الأبواب» فالتعليق أشدُّ إحكاماً من الإغلاق! رغم هذا تكلم يوسف فعفَّ نفسه و ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ . ما أظهره!



## قصة العفة |

﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾: لكن باب مَنْ في السماء لم يغلَق! مهما أُحْكِمَت أبواب الدنيا؛ فباب السماء مفتوح ، وصاحب الذنب مفضوح ، وَلَمَّا غَلَقَتِ امرأةُ العزيز عن نبي الله يوسف الصديق ﷺ أبواب الدنيا .. فتح الله له أبواب الآخرة!

﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾: قَطَعَ لُحْطُ الرجعة ، وإغراءً بالإقدام.

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾: هذه الدعوة السافرة لا تكون أول دعوة من المرأة ، إنما تكون هي الدعوة الأخيرة ، وقد لا تكون أبدًا إذا لم تضطرَّ إليها!

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: إجابة سريعة؛ لم يتردد! أرايتم أثر الرصيد الإيماني؟

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾: امرأة العزيز قالت: ، ويوسف قال: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ من باع (الكرامة) شرى (الندامة).

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: يا لها من لحظة صبر عابرة كتب الله له بها الخلود والرفعة والثناء؛ قل: «معاذ الله» كلما راودتك الخطيئة.

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: قَطَعَ الحوار مباشرةً بالتخويف بالله دون إطالة ، لأن إطالة الحوار قد تؤدي إلى الاستسلام للفاحشة ، وهذا منهجٌ رائع ، فليس بين الجملتين أداة عطف توحى بالتريث .. لم يترك فراغًا زمنيًّا للتفكير ، كن صارمًا مع الشهوات قبل أن تبتلعك.

﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾: هي قولة المتقي عندما تُغلقُ دونه الأبواب ، وتراوده خواطر السوء.

وفيه أيضًا أسْمَى معاني العفة مقابل أسْمَى معاني الخيانة ، في تغليقها -ليس بابًا واحدًا- بل أبوابًا.



﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: عندما أكرم العزيزُ مَثْوَاهُ لينفعه نال منه أعظمَ نفعٍ؛ وهو صيانة عِرْضِهِ.

﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: مما يسهل تركَ الفاحشة؛ تذكر حقوق المخلوقين التي تنتهك بفعل الفاحشة ، وشهود عدم فلاح مرتكبها.

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾: تذكر النعمة: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾، الخوف من العاقبة: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: قوة المعرفة بالله تمنع من الزلل؛

ذكر عنوان الربوبية هنا دون السيادة ﴿رَبِّي﴾ لما فيه من الاعتراف بالمعروف والفضل ، وهذا دليل على أن من المروءة ورفيع الأخلاق أن يحفظ الإنسان حقَّ من أحسن إليه ، وأن من خيسها أن يخون من أسدى إليه معروفًا.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: لن يفلح ولن يسعد الزاني أبدًا.

### درة

قصور الملأ والمترفين موبوءة ومملوءة  
بفتن النساء والمال، والسلامة لا يعدلها  
شيء، ومن يحم حولها يوشك أن يقع فيها.



## ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهٖ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾

من بلاغة القرآن وترفعه عن ذكر الرذائل؛ أن صَوَّرَ ما حصل بين شابٍ عفيفٍ (يوسف عليه السلام) وامرأة العزيز ، ونقلت إلينا اللغة القرآنية أدق تفاصيل المشهد الغريزي -بأوجز عبارة وأوضحها ، دون إثارة ولا إسفاف ، بل بأسلوب بلغ غاية السمو والراقي ، مع أعلى درجات الدقة والوضوح: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا﴾ فأين كُتَّاب الروايات الساقطة من هذا الجمال البديع؟

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا﴾: هَمَّتْ وفعلت ، وهمَّ بحكم بشريته ولم يفعل ، بل قهرها بالإيمان والاستبصار: ﴿لَوْلَا أَنْ رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهٖ﴾ ، كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «هُمُّهُ كَانَ هَمَّ خَطَرَاتٍ فَتَرَكَهُ لِلَّهِ فَأَثَابَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَهَمُّهَا كَانَ هَمَّ إِصْرَارٍ بِذَلِكَ مَعَهُ جَهْدُهَا فَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ» [روضة المحبين ، ٣١٩].

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهٖ﴾: مهما بلغت في علمك وصلاحك وتقواك ، فلولا أطفاف الله بك وتوفيقه لك لم يعصمك من الفتن.

﴿لَوْلَا أَنْ رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهٖ﴾: افتح عيني بصيرتك جيِّداً؛ فهناك براهين للرب تظهر ، يعصم بها أحبابه .. يذكرهم بها أن الله لا ينبغي أن يعصى.

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾: استخلصك من بين خلقه فصرف السوء والفحشاء عنك. قدر هذه المكرمة واحترمها.



﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾: رغم كل محاولات امرأة العزيز وإغراءاتها يسمى القرآن الأشياء باسمها؛ السوء والفحشاء.

سابقة العمل الصالح تقي من مزلق الرِّيب ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾  
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾: من أخلصَ لله خلَّصه من السوء والفحشاء ، وعصمه منهما من حيث لا يشعر ، وحال بينه وبين أسباب المعاصي المهلكة.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا  
لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ  
أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: فرَّ من الفتنة مسرعًا؛ فإن التراخي قد يُوجد مداخلَ الشيطان وتأويلاته ، ولا تزعُم الشجاعة أمام فتن الغواية .. أطلق ساقيك للريح!

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: قد تَسيران في دربٍ واحد لكن النِّوَايا مُختلفة! فكلّاهما يجري .. أحدهما يفر من المعصية والآخر يطلبها ، قد نشترك في ظاهر الأفعال ، ويتفاوت الجزاء تفاوتًا عظيمًا في النية.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: من أعظم أسباب السلامة من الفتن الهربُ منها ، وعدمُ الاصطلاء بنارها تحت أي دعوى ، فالنجاء النجاء!





## قصة العفة |

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: الفرار الوحيد الذي يمارسه الشجعان ، ولا يطبق فعله الجبناء هو الفرار من المعصية ، أو الفرار إلى الله .. ﴿فَرُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠].

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: هكذا هم «أهل الولاية» ، إن أظلتهم غاشية المعصية ، لأدوا بباب النجاة ، ويتولى الله إتمام الأمر!

ربما لو وقف يوسف لخطف ، ولبلغت امرأة العزيز الهدف ، لكن علم منه الإحسان وعُرف فلاح له ضوء الباب ، فجاء المشهد ووُصف: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: إذا تزينت لك المعصية بزخرفها ، وتهيأت لك الخطيئة بإسرافها ، وتسَلَّتْ أدخنة الرِّيبة إلى مكانٍ ... فالتجأ إلى أقرب باب يشعُّ منه نورُ النجاة ، قبل أن تختنق بسخط الله.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: كلُّ هربٍ مذمومٍ؛ لأنه يُفصِّحُ عن جبنٍ وهزيمة .. إلا الهرب من المعصية؛ فإنه رأس الشجاعة والعزيمة! فالجبن عن المحرمات أسمى صور الشجاعة! وما أشجع أن تكونَ جباناً أمام الفاحشة ، هارباً منها!

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: سباقٌ محمومٌ لغايتين متناقضتين؛ الغاية الأولى: الحصول على الفاحشة ، والثانية: الهربُ منها!

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: مشروعية الفرار من الفتن مهما بلغ الإنسان من العلم والدين والعقل.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: لا تكتفِ بـ: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ .. بل ابحث عن أقرب باب .. واهرب.





﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: ما الذي يجعل يوسف عليه السلام يجري ناحية الباب ، مع علمه يقيناً أنه (مغلّق) ؟ ربما كانت الإجابة واضحة؛ إنه التوكل. ولكن، ما الذي يجعل امرأة العزيز تسابقه إلى الباب الذي تعلم يقيناً أنه (مغلّق) ؟ بل هي التي غلّقتة بيدها؟ هكذا الفزع الذي يصيب أهل الباطل حين يتحرك أهل الحق متوكلين على الله ، هذا هو الباطل؛ - هش ، مهما بلغ من أسباب القوة ، فإذا تحرك أهل الحق متوكلين على الله متصلين بمصدر القوى -اضطرب أهل الباطل -مهما كانت الأسباب في أيديهم.

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ﴾: ياله من تصوير! شدة الهروب هو الذي جعل القميص يشق من الخلف! والهروب من المعصية .. يتبعه عز الطاعة.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ﴾: تمزّق القميص ، ولكن سترته الفضيلة..

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ﴾: لا تزدري كل رثّ الهيئة مَعْفَر الجبين مشقوق الثوب؛ فقد يكون نبيل ما هو الذي شقّ ثوبه وعفّر جبينه.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ﴾: عدم التفاته نسج خيوط براءته .

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ﴾: ربما ظن يوسف في تلك اللحظة أنها تمكنت .. وما علم أنها وقعت على الإدانة التي ستظهر براءته؛ فلا تستأمن الانتصارات المؤقتة للظالم.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾: الزوج سيّد للزوجة عند جميع الأمم ، لا يُنَارَع في هذا ، وله حق القوامة بالفطرة: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾؛ فالرجل سيّد داره ، وتغادر من البيت السعادة بقدر اختلال هذه السيادة.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾: من المؤكد أنها تيقنت من عدم مجيئه في هذا الوقت قبل أن تشرع في مراودتها .. ولكن مالذي جاء به؟ إنه الله.



## قصة العفة |

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾: لم يقل «سيدهما»، فلا سيادة لكافرٍ على مؤمن، ولا قال: «زوجها»؛ لعلها لفعلتها الشنعاء وبخطئها نزلت من رفعة الزواج وعلياته إلى ذل العبودية والملك.

﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: السجن خيارٌ حاضرٌ مُلحٌّ في أذهان الظلمة على مرِّ التاريخ! وهو عريقٌ في مصر خصوصًا؛ فأقوام الأنبياء لم يهددوهم بالسجن إلا فيما عرف عن المصريين!

﴿قَالَتْ مَتَهْمَةٌ مَفْتَرِيَّةٌ﴾: ﴿مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ فسלט الله عليها سفهاء ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لا تبادل البذيء الكلام؛ فإما يسלט الله عليه بلية السماء، أو سفهاء الأرض، أو يرحمه.

﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: تصلح مثلاً للمثل المشهور: ضربني وبكى وسبقني واشتكي! فليس المشتكي هو صاحب الحق دائماً.. قد تكون الشكوى ضربةً استباقيةً من الظالم.

﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: كفار السابقين أحفظُ للأعراض من بعض أهل زماننا، فقد سمته: سوءًا، وحكمت بالسجن أو العذاب.

﴿بِأَهْلِكَ﴾: الزوجة يُطلق عليها «أهل».

﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: ربما كان الذكاء وسرعة البديهة وبالأعلى على صاحبه، ومضارَّةً بالآخرين.

﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾: صاحب الباطل يجيد التمويه والتمثيل!

﴿أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾: قالت: «ولم تقل: «بي»؛ أضافت نفسها إليه لتستنفرَ غيرته وتثير عاطفته نحوها.



﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾: في لحظة قلبت الحقائق ، واستحضرت المخارج ، فألزقت خطيئتها به! نعوذ بالله من كيد النساء.

﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ الفاحش كذوبٌ. امرأة العزيز راودت ثم: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] وأمّام زوجها استحت عن ذكر الفاحشة فكنت و ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ الفاحش متناقض.

﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ ولم تقل كفرعون: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]؛ لأنها لم ترد الحبس الدائم ، فلا زالت ترجوها!

﴿قَالَ هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٦١)

﴿هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ﴾: الأبرياء .. لغتهم الهادئة الواثقة تغنيهم عن الحلف ورفع الصوت ومحاولات الإقناع ، فصاحب الحجّة الحق لا يُكثر الكلام.

﴿هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ﴾: مشروعية المبادرة للدفاع عن النفس عند اتهام يوجّه لك سيّما إن كان متعلقاً بالأعراض.

المبهوت لا يملك إلا الكلمة الصادقة؛ ﴿هِيَ رَاودَتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ﴾ وقد يؤيده الله بمن ينتصر له: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ، ويؤيده بالقرائن -كما استدللّ الشاهد.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾: أقم الحجّة على الخصم بأحد مقربيه.



﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾: إذا اتقى العبد ربَّه جعل له من كل هم فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا .. حتى أقربُ الناس إلى خصمه يشهدون له ويؤيدون دعواه ، فهذا من أهلها وشهد ضدها فإذا كان العبد مع الله ﷻ سخر له قلوب أبعد الناس .

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ﴾: دليل على اعتبار القرينة في القضاء .

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾: من أين جاء الشاهد؟ لا تخف؛ فالله يظهر الصدق بعين شاهدٍ ، أو لسانٍ ملهم ، أو رأي حكيم ، «كن صادقًا ؛ يكن الله معك».

﴿قَدَّمَ الشَّاهِدَ احْتِمَالَ كَوْنِ قَمِيصِ يَوْسُفَ قَدْ مِّنْ قَبْلُ - مَعَ أَنَّهُ رَأَى قَدْ مِنْ دَبْرٍ بِالْفِعْلِ - لِنَفْسِي التَّهْمَةِ عَنْ نَفْسِهِ؛ فَلَا يُظَنُّ أَنَّهُ مُتَحَامِلٌ﴾.

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبْرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٧)

﴿قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «العالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله ، كما توصل شاهد يوسف بشق القميص من دبر إلى معرفة براءته وصدقه، [إعلام الموقعين ، ١/ ٦٩].»

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبْرٍ فَكَذَبَتْ﴾: فكر بعقلك ، ولا تُغفل القرائن ، وتنساق خلف الشائعات.



﴿وَأِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾: بعض البراهين واضحة وضوح الشمس لا تحتاج إلا إلى بعض الانتباه.

بناء الفعل للمجهول ﴿قُدَّ﴾ مع أن الفاعل معلوم - وهو المرأة - فيه حسن أدب في مقام الشهادة ، سواء كانت جاذبة له أو مدافعة ، حتى لا يُنسب إليها سوءٌ ، أو يجري اسمها أو وصفها في عمل مشينٍ يحسُن فيه التستر والغفر.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ  
إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢٨)

﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: وصف أقره القرآن في جنس النساء ، فعلى المرأة الصالحة أن تسكُنه بالإيمان ، وتعقله بالتقوى.

### فائدة

الزوج سيّد للزوجة عند جميع الأمم، لا يُتَّزَع  
في هذا، وله حق القوامة بالفطرة.



## ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (٢٩)

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾: سبحانه من فاوت بين الرجال في الغيرة؛ أرايت لو كان مثل سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه ماذا كان يصنع؟

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: بيوت بعض النخبة تهمها السمعة الحسنة بين الناس أكثر من وجود الطهر بين جنّباتها.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: ينبغي لأصحاب النفوس الزكية أن يترفعوا عن مداولة أخبار الفواحش والمنكرات لغير مصلحة.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾: عندما يقع الخطأ من القوي، فلسان حال بعض الناصحين «اسكتوا واستغفروا» فحسب.

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾: ولم يتخذ موقفاً يليق بالجريمة، تمادت ودعت النساء وأعدت المتكأ، فمن أمن العقوبة أساء الأدب.

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾: من يترك امرأة -له سلطان عليها- تتزين أو تراود الرجال -سواء بقول أو فعل- ففيه قدرٌ من الدياثة، حتى لو غلف حاله بالدعوة إلى الاستغفار والإقرار بالخطيئة.

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾: حتى الكفار يرون الزنا ذنباً يجب الاستغفار منه -بل مقدماته- لا حرية شخصية ينبغي السكوت عنها.

## شتان بين همين :

هم يوسف ﷺ :

هم امرأة العزيز:

همه لم يؤكد.

همها قد أكد.

همه كان مقترناً بالفرار  
من المعصية،  
والاستعاذة بالله،  
والتحذير من الظلم.

همها كان مقترناً بأعمال  
مثل أحبت ونظرت وأرادت  
وتزينت وراودت وغلقت  
الأبواب ودعت وتكلمت  
وجذبت وهددت وتوعدت  
ثم نفذت وعيدها.

وهمه كان معه الاستثناء.

همها كان بلا استثناء.

ويوسف عصمه الله وصرف  
عنه السوء والفحشاء.

هي تركت ووكلت  
إلى نفسها.

ويوسف ذكر بالإخلاص.

هي ذكرت بالمرادة والتزين  
ونفسها الأماراة بالسوء.





## وشاع الخبر



**عندما** تتصف المرأة بخصال تشينها خلقاً أو ديناً فإنها  
تجتهد في توريث بنات جنسها في ذلك ، وبشتى الوسائل.





## كيد النساء ..

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣٠)

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ ﴾ : ظاهرة حب الاستطلاع وتبعية الأخبار تنشط مع الفراغ.

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ ﴾ : مع أنها غلقت الأبواب؛ إلا أن فضيحتها عمّت البلاد وطرقت كل باب؛ فلا تأمن مكر الله وأنت تعصيه.

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ ﴾ : أضفنها إلى زوجها؛ إرادة لإشاعة الخبر.

﴿ تُرَاوِدُ ﴾ : قال الإمام ابن القيم رحمته الله : «أتين بفعل المراءودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع حالاً واستقبالاً وأن هذا شأنها ، ولم يقلن: راودت فتاها ، وفرق بين قولك: فلان أضاف ضيفاً ، وفلان يقرى الضيف ، ويطعم الطعام ، ويحمل الكل؛ فإن هذا يدل على أن هذا شأنه وعادته» [إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان].

﴿ تُرَاوِدُ ﴾ : لورفع الله عنا ستره؛ لصرنا حديث المجالس.

﴿ تُرَاوِدُ ﴾ .. ﴿ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ ﴾ : من بشاعة الزنا .. أن الزنا والفساق لا يستسيغون التصريح بلفظه!



﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ﴾: النفوس المريضة تنشط في نشر الفاحشة غير مهتمة بأعراض الناس.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ﴾: السيدة الأولى في المجتمع لها مكانة؛ والنفس إلى سماع أخبار أولي الأخطار والمكانة أميل، والأصل الستر والتثبت من الأخبار وفحصها.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾: سريان الشائعات والتحليلات في المجتمعات ظاهرة قديمة، وغالب من يتلقفها النساء إلا من رحم الله.

﴿نِسْوَةٌ﴾ عبّر بجمع القلة ﴿نِسْوَةٌ﴾ دون (نساء) لإبراز أن الخبر وإن كان المتحدث به قلةً منهن ﴿نِسْوَةٌ﴾ إلا أنهن كافيات لإشاعته في المدينة كلها!

﴿تُرْوَدُ فَتُهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: المشكلة الأكبر لديهن في التفاوت الاجتماعي، لا في فعلها المشين؛ لأنها ترواد ﴿فَتُهَا﴾ العبد!

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: ومع أول اختبارٍ تنازلت عنه: ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾.

﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: هن يعلمن أن تعلق النساء بالرجال ضلالٌ مبين!

### ومضة

كل أسيرٍ له سجنه..  
إلا أسير الهوى هو سجن نفسه!!



﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ  
كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ  
أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣١)

من يطبق سخرية السنة الخلق منه؛ ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ﴾ ١٩

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ﴾ : عندما تتصف المرأة بخصال تشينها خلقاً أو ديناً  
فإنها تجتهد في توريط بنات جنسها في ذلك ، وبشتى الوسائل.

البعض لكي تخرج منه كلاماً تريده؛ اجعله يتكئ وضع له طعاماً ، ﴿ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ  
وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾ .

عبر بلفظ العموم ﴿ كُلَّ ﴾ في إعطائهن السكين دون إعدادها المتكأ لهن؛ إشارة لحرصها  
على أن تقع سكين في يد كل واحدة منهن ، ولا يهمها ذلك في المتكأ.

﴿ وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ : تعلم المرأة جيداً مدى فتنة المرأة بالجمال ، كل شيء يدل على  
أنها ستربح الرهان.

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ : هذا حال من رأى من أوتي نصف الجمال ، فكيف  
حال من سیری وجه خالق الجمال ﴿ ١٩ ﴾

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ : كن يرينها في ضلال مبين ، لكن قال الله عنهن:  
فلا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله، ويبتليك.



❁ حال النسوة مع يوسف ﷺ: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ ، وحال الملك لما رآه: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ، الرجال غالباً يروقههم جمال الجواهر والمخبر، والنساء يروقهن المظهر.

❁ ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: النسوة قطعن أيديهن ولم يشعرن ، والنساء عادةً ما يصبن بالهلع عندما يرين الدم ، فسبحان من أعطاه شطر الحسن والجمال.

❁ ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: تقطيع النساء لأيديهن وهن يشاهدنه مبهورات ومشدوهات - واليد أكثر منطقة فيها الإحساس - يدل على عظمة استحكام الشهوة بين الجنسين ، وإذا جاشت المشاعر؛ تخدر الشعور .

❁ ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾: بالقلب، ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: بالفعل، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾: باللسان ، بعد المعاينة أصبحن مفتونات بعدما كنَّ لائمات ، ومتغزلات بعدما كنَّ شامتات. تصوير قرآني بديع.

❁ كان النسوة يلمنها ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فلما أوقعتهن في الفتنة تواطأن معها ، فليحذر المرء؛ فإن (البلاء موكل بالمنطق).

❁ ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾: لا تغتر لمجرد صدور كلمات طيبة من البعض ، أو ذكر لله وبعض أمور الدين -مخالفات فاضحة- ، فالاستقامة أمر وراء ذلك؛ علم وعمل وسلوك.

❁ ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: لا تصدر حكماً على شيء قبل أن تحيط به علماً ودراية .. حتى وإن كان في أمرٍ سلبي.

❁ ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: من البلاء والاختبار أن يهبك الله شيئاً يفتقده غيرك.



﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾: دليل فطريٌّ على أن الملائكة خلقٌ جميلٌ كريمٌ ، كما دلَّت الفطرة على أن الشياطين خلقٌ دميمٌ ذميمٌ.

﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾: لما رأت النساءُ جمالَ يوسف لم يقلن ما شاء الله ، ومع ذلك لم تصبه عين ، فتوكلوا على الله ولا تجاوزوا في خوفِ الحسد حدَّ الاعتدال.

## تمزق جلباب الحياء ..

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ  
عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَكُجَنَّ  
وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ (٣٢)

﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ ﴾: (لامت) النسوة امرأةَ العزيز فوقعن فيما (لُمْنَهَا فِيهِ)؛ لوم الناس وقت (فراغك) من أسباب (ابتلائك).

﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ ﴾: اللوم يُشعر صاحبه بالإحباط ، فيحاول جاهداً أن يُظهر قوته: ﴿ لَيَكُجَنَّ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾.

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾: لا يلوم العصاة بعضهم بعضاً على معصية الله ، وإنما على عدم التقنن والإتقان في أداء المعصية.



﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾: أخبرت بجمال ظاهره حين أشارت إليه بالخروج عليهن .. ثم ضمت إلى ذلك إخبارهن أن باطنه أجمل من ظاهره؛ لأنها راودته فأبى إلا العفة والحياء؛ بقولها ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾.

﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: عندما تنطق الرذيلة فكبر على الفضيلة أربعاً؛ حين رأت نفسها منتصرة عليهنّ ازدادت وقاحتها ، وباحت بمكنون صدرها لهنّ.

﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: كثيراً ما يفضح الإنسان نفسه في مجالس الانبساط.

﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: جهرت أمامهن بفعلتها الشنعاء وكأنها تشعرهن بذلك أنها لا تخشاهن ولا تخشاه؛ لتبعث الرعب في قلبه فيفعل ما تريده منه.

﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾: لم يرفض فقط ، بل استعصم! أظهر شجاعتك عند مواجهة الفتن .

﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ﴾: البعض لا يستحسن هذه الصفة -العفة- ، وهي عندهم تخلف ورجعية وتزمت و «تشدد» .

﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾: لم يزل دعاة الفتن يستعملون أسلوب الترغيب والإغراء ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ وأسلوب التهيب والإقصاء ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾.

﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾: يعتقد الأغبياء في كل العصور أن السجن يقلل من قدر المظلوم .. والله يثبت لهم عكس ذلك ، ولكن دون جدوى!

﴿وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ﴾: مسكينة .. ظننت أن الثوابت تزعزعها كلمات !





﴿وَلَيْنَ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لِّسَجَنٍ﴾: التهديد بضاعة المتسلطين!

﴿وَلَيْنَ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لِّسَجَنٍ﴾: ضحّت بيوسف لأنها تريد الشهوة فقط ولا تريد يوسف ، وهكذا كل عاشقٍ غالباً .

﴿وَلَيْنَ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لِّسَجَنٍ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾: جاءت نون التوكيد المثقلة في: ﴿لِّسَجَنٍ﴾ لكن في الحكم عليه بالصغار جاء التنوين بالنون المخففة: ﴿وَلَيَكُونَنَّ﴾ ولم تقل ليكوننَّ ، والسر -والله أعلم-: أنها تستطيع أن تدخله السجن ﴿لِّسَجَنٍ﴾ فلذلك أتت بنون التوكيد المثقلة.. لكنها لا تملك مطلقاً أن تجعله ذليلاً أو صاعراً ، فلذلك -والله أعلم- جاءت مخففة في: ﴿وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ فعلاً: «إنه لا يذل من واليت».

﴿وَلَيْنَ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَةٍ لِّسَجَنٍ﴾: امرأة العزيز لم تقل: حتى رأت أيديهن قد قُطعت بمكيدتها وقلن: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ ، وهذا كله بعد قولها: ﴿أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ هذا ما يُسمّى التحكم بالرأي العام ولو من بُعد ، فهي جعلتهن في نفس خندقها ، ووجهت فكرهنّ إلى نفس وجهة فكرها ، وقريب منه قول فرعون: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾؛ فهو لا يحتاج إذن أحد ، لكن يريدهم أن يوافقوه الرأي ..

**همسة:** يبقى الظالم متحفظاً بفكرته حتى يأخذ الضوء الأخضر من المجتمع ، وغالباً هو من يؤججهم عبر وسائل إعلامه .

### فائدة

البعض لكي تُخرج منه كلاماً تريده؛ اجعله يتكئ، وضع له طعماً!



﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٣)

﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾: عندما تصبح الحياة برحابتها سجنًا كبيرًا للحريات الدينية والفكرية؛ يصبح السجن الحقيقي - في سبيل الله - جنةً للمفكر العابد ، وسببًا لتحرر الروح من أسر العادات والتقاليد والعلاقات الأرضية كلها.

﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾: لا يجوز الدعاء على النفس بما قد يضرها إلا عند خوف الفتنة.

﴿ السِّجْنُ أَحَبُّ ﴾: ما أجمل لغة الأنبياء! الحب حتى مع القضاة.

﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾: هذا مقام الصبر ، ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ وهذا مقام الاستعانة ، وهذا كقول موسى: ﴿ أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا ﴾؛ فالأعمال القلبية هي وقود الأعمال البدنية؛ فينبغي الاهتمام بها.

﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾: الآية تؤيد قاعدة دفع أضر الضررين بجلب أخفهما.

﴿ حِينَ يَصِحُّ الْإِيمَانُ تَصْبَحُ مَحَابِبُ الرَّبِّ أَحَبَّ مِنْ مَحَابِبِ النَّفْسِ ﴾: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ وتقلب المحنة منحة.

﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾: السجن الحسي أحب من السجن المعنوي؛ فإن من عصى الله فقد وقع في الأسر ، فيعاني من أثر المعصية ، السجن في طاعة الله يكون محبوبًا ، والحرية في معصية الله تكون مكروهة.



﴿ مَا بَيْنَ ﴾ ﴿ءَاتَيْنَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ و ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ كانت فتنةُ امرأة العزيز ، فالعلم النافع قاده لاختيار السجن على معصية ربه.

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾: ليكن السجن ، التضيق ، المكاره .. أحبُّ إليك مما يدعونك إليه من دون الله.

﴿ المؤمن كلما عُلّت رتبته وارتقى في درجات الإيمان ، خاف على نفسه الفتنة ، وسعى لحفظ إيمانه من الفتن ﴾ ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ، فعند الأولياء يكون الابتلاء مع نعيم القرب من الله أحب من الشهوة العجلى مع جحيم البعد.

﴿ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾: صيغة المضارع ﴿يَدْعُونَنِي﴾ تدل على استمرار عروض الإغراء التي تعرّض لها يوسف ﷺ؛ أي عفة حملت يا يوسف؟!

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾: إذا كانت المساومة بين السجن والمبدأ؛ فليكن السجن ، فثم -جزماً- تكون سفينة نجاة. فالصالحون يبذلون حريتهم ، حتى لا يُمسّ دينهم.

﴿ لولا إيثار ﴾ ﴿السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ ما خرج إلى ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا﴾.

﴿ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾: بعدما عف بدنه بالتمنع .. قائل: لم يقل «رب السجن أحب إلي من الزنا» ، ولكن قال: ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ، عفّ لسانه أيضاً ، ولا غرابة في عفة هذا الطاهر .. فهو الكريم ابن الكريم ابن الخليل.

﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾: أشرارٌ من الخارج على دينك ، وأخطارٌ من الداخل على تقواك؛ تحتاج إلى عون المليك لصرفها.



❁ الجالسات مع المترفات المتهتكات يشاركن في هدم العفاف ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي﴾ ولم يقل (كيدها) وكأنهن كنَّ في كامل الزينة وقت المقابلة .

❁ ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: هكذا الافتقار -وهو نبي معصوم- ، فلم يقل أنا ابن الأنبياء ، بل تبرأ من حوله ولجأ إلى حول الله ، وافتقر إلى حفظه ، فعصمه ، ولا يعصم من الزلل إلا الله ، فمن يعتد بنفسه بعد يوسف؟ لا تغتر بإيمانك ، وتزكي نفسك؛ فقد كان النبي ﷺ يردد صباح مساء «ولا تكلني إلى نفسي».

❁ ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: انظر كيف يؤكد الله بَشَرِيَّةِ يوسف عليه السلام كما أكد بشرية محمد ﷺ ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠ ، فصلت: ٦].

❁ ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: استقبل الإلقاء في البئر بالصبر ، واستقبل العبودية بالصبر ، واستقبل السجن بالصبر ، ولكنه شكا هذه الشكوى الحارة عندما تعرض لفتنة الجمال.

❁ العلم الشرعي مانع من الوقوع في المعاصي؛ مستفاد من مفهوم المخالفة في قوله تعالى: ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.



## ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٤)

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ﴾: هل رأيت الاختصاص ﴿ رَبُّهُ ﴾! فقد كان قلبه لربه ، فاجتباها بقربه: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤].

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾: إذا علم الله من عبده صدق نيته في الخلاص من المعصية وإكراهه عليها ، صرف عنه أسبابها وإن كانت «كيد ملكة».

﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾: لم يقل ﷺ «فاستجاب له ربه فسجنه» ، بل ذكر النتيجة.

﴿ وَالْأَتَصَرَّفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٣) ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾ من أسرع الدعاء إجابةً؛ الاعتصام بالله من معصيته.

## ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٣٥)

﴿ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ ﴾: من الآيات آية: ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ ، آية: ﴿ إِنَّهُ رَئِي ﴾ ، آية: ﴿ بُرْهَنَ رَبِّهِ ﴾ ، آية: ﴿ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ ، آية: ﴿ قَمِصُّهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ ﴾ ، آية: ﴿ فَاسْتَعَصَمَ ﴾ ، آية: ﴿ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ .

﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ ﴾: هذا ليس بحكم قضائي فلا جريمة ، وإنما هو قرار سياسي ليحمي المتورط ، ويعاقب البريء.



﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ﴾: مجتمَع ظالمٌ، يعرف المظلومَ والظالمَ، ثم يكون الحكم نفوذَ داعي الشهوة، وامتنال أوامر النساءِ، والمحافظة على ظاهرٍ وجاهةٍ الوجهاء ولو على حساب أعراض المظلومين!

﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّى حِينَ﴾: عرفوا براءته؛ لكن بدا لهم سجنه إلى أن يروا فيه رأياً؛ ما أجراًهم على الظلم!

﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّى حِينَ﴾: جعلوه كبشَ فداءٍ لحفظ ماء الوجه وإيهام العامة بخلاف الواقع؛ مشهدٌ يتكرر!

﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّى حِينَ﴾: مسألة الحبس لمدةٍ غير معلومةٍ من الطاغية هي قضيةٌ أزليةٌ، وليست وليدة اليوم؛ فلا تبتئس!

﴿لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّى حِينَ﴾: نبيٌّ كريمٌ مكث في السجن سنين بسبب نزوة امرأة؛ فاصبر على البلاء مهما كان سببه.

﴿لا أحد يعرف الآن اسم سجّان يوسف، ولكن كلنا نعرف من هو يوسف﴾.

﴿لَجَعَلْنَاكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتُهُ﴾، منذ القدم والصالحون بين مسجونٍ ومهددٍ!



## خماسية يوسف في العفة

قلبٌ خاوٍ من الإيمان وحلاوته.

عقلٌ محجوبٌ عن رؤية  
العواقب وخطرها.

نفسٌ أمارتُ بالسوء مترعةٌ  
على عرش القلب.

إغلاق الأبواب مع الخلوة  
المحرمة والزينة الكاملة.

المعشوق غاية في الحسن والجمال.

لحظات يبلغ  
فيها الضعف  
الإنساني  
مداه



# استراتيجيات لأهل الباطل في كل زمان

تتلخص في قصة يوسف عليه السلام

## الإنهاء

ويراد بها التصفية الجسدية  
وظهر في مشهد الإلقاء في الجُب

## الإغواء

استراتيجية للميل بأهل الإيمان عن  
جادة الطريق - إما بسلطة أو بمال  
أو بنساء - وظهر في مشهد المراودة .

## الإلغاء

السجن والقهر.



## أعظم سجين



الإحسان ليس له زمان ولا مكان خاص ..  
حتى في السجن يعرف الناس إحسان المحسن !





## من القصر إلى السجن ..

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أُرَبِّىَ  
أَغْصِرُ خُمِيرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ  
الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٦)

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ﴾ مع بداية الضيق نفسه تلوح بوارق الفرج؛ دخلوا معه وليس بعده ،  
وكان أحدهما سبباً في خروجه.

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ لا تحزن؛ هناك من يشاركك البلاء دائماً.

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ أكانا يعلمان أن في السجن صحبةً لنبي؟!

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾: حتى في سجنهم كان لديهم شيء من رافة ، فلم يكن  
السجن انفرادياً كما يفعل طغاة هذا الزمان!

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي ﴾: لما أغلقت جميع الأبواب  
فتحت الرؤى باباً للتفاؤل والبشرى ، فالله لا يغلق باباً إلا ويفتح باباً للفعال.

﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾: الأفعال والسيما تتحدث أكثر من الكلام ، فكما برر  
السجينان سؤالهما يوسف بإحسانه؛ فأناس أيضاً يتوسمون الخير في الداعية إلى الله ،  
فيستشيرونه في أمور دينهم ودنياهم ، ويتلطفون معه بإحسانه ، وأناس تبث شجونها إلى من  
يحسن إليها ، وأولى الناس بذلك هم المصلحون.



﴿ إِنَّا نَزَّلْنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾: ما أدراهما ؟! الإحسان طبعٌ أصيلٌ يصدر من المحسن تلقائياً ، كما تبت الزهرة عبقها ولا تحبسه.

﴿ إِنَّا نَزَّلْنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾: الإحسان ليس له زمانٌ ولا مكانٌ خاص ، حتى في السجن يعرف الناسُ إحسانَ المحسن!

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٣٧)

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾: أشار بلطفٍ إلى كون الطعام رزقاً؛ الموفق يجد في الكلام العادي ثغراتٍ يستطيع أن يملأها بالتذكير بالله.

ينبغي لمن وعد أن يؤقته بحدٍّ معين ليطمئن الموعد ويصفو ذهنه: ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾.

﴿ ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾: لا تدع مناسبة دون الإشارة إلى فضل الله ، أو تقول فيها كلمة تشني فيها على الله ، أو توحى إحياءً يذكّر بالله.

يوسف عليه السلام قال: ﴿ ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾: المسافة بين التواضع والكبر هي نسبة الفضل لله أو منازعته فيه!

قال: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ثم قال: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾، بدأ بكفار قومِهِ ، ولو بدأ بكفارهم ربما نفروا ولم يسمعوا حديثه أو يستجيبوا له.



﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: لم يحدث أصحابه في السجن عن ظلم إخوته وافتراء زوجة العزيز ، بل تسامى عن كل ذلك وذكر همه الدعوي .

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ ، ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ﴾ [يوسف: ٣٨] الوضوح في الطرح والإفصاح عن المعتقد من أهم المهمات ، فلا بد من القوة في الحق والرحمة بالخلق.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: الدين لبُّ الإيمان بالله والإيمان بالغيب.

## السجين الداعية ..

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا  
كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى  
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٨)

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: فخر الولد بأجداده واتباع طريقتهم يُبنى على التربية.

﴿مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: إنها استجابة الله لدعاء الجد الصالح إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].



﴿ في السجن: ﴿ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، في الفار: ﴿ إِنْ أَلَّهِ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] ، في بطن الحوت: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ، في الكهف: ﴿ لَنْ نَدْعُوًا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ﴾ [الكهف: ١٤] ، عند البحر: ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﴾ [الشعراء: ٦٢] ، القاسم المشترك أنه في الكرب لا بد من تحقيق التوحيد ، فمع التوحيد يتسع كل ضيق ، سواء كان في البر أو في البحر .

**همسة** لك يا (مهموم/ مكروب/ مديون...الخ): حقق التوحيد ، واقطع حبال الوصل مع الخلق ، وتعلق بالله وحده لا إله غيره ولا رب سواه ، ثم أبشر بالفرج .

﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا ﴾ : الهداية للتوحيد الخالص محض فضل من الله تعالى ، لم ينله صاحبه بانتماؤه لدولة ، أو إقليم ، أو قبيلة ، أو لغيره .. فما أنت فيه من خير طلبه نوح لابنه وإبراهيم لأبيه ومحمد ﷺ لعمه ولم يعطوه؛ فاحمد الله أكثر من عدد أنفاسك .

﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ : لا تنظر إلى البلاء .. وانظر إلى ما من الله به عليك من التوحيد .. وكذلك انظر إلى النواحي الإيجابية في حياتك ولا تمنع النظر في السلبيات؛ فالأولى تورثك الرضى والتفاؤل .. والثانية تورثك السخط والتشاؤم .

﴿ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ : عرف يوسف ﷺ فضل الله عليه وعلى غيره ، وهو في السجن ، وهو في الغربة ، وهو مظلوم ، وهو نبي ابن نبي! فهل عرفت أنت فضل الله عليك أولاً ولم ينزل بك عشر معشار بلائه ؟ فما بالنا ؟! مهما كانت الآلام هناك نعمةٌ وشيءٌ جميلٌ يمكن الحديث عنه .





عند الإغراء قال: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ ، عند الفتنة قال: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ ، في السجن قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ في حالة الفرج قال: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ ، عند لقاء الأحبة قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ . ينبغي أن يكون ذكر الله على لسان المؤمن في كل أحواله.

### ﴿يَصْحَجِي السَّجْنِ ۖ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾

﴿يَصْحَجِي السَّجْنِ﴾ : خطابٌ يفيض بالإلف والتودد والقرب ، حافظ على قاسمٍ مشتركٍ مع من تتحدث معه ، فهو أدعى لأن يستمع إليك .

﴿يَصْحَجِي السَّجْنِ ۖ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ : هكذا هو الداعية؛ مباركٌ أينما كان ، ومؤثرٌ حتى في التضييق عليه ، لا تُشغل وقتك بمظلوميتك ، ولا متى ترفع عنك؛ واشغل وقتك وقلبك بالدعوة إلى الله!

﴿يَصْحَجِي السَّجْنِ﴾ : السجين - ومثله كل مُبتلى - أحوج للدعوة من حاجته إلى الحرية.. زوروا السجناء وتفقدوا أحوالهم.

﴿يَصْحَجِي السَّجْنِ ۖ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ : الحوار العقلي الصريح والمجادلة بالتّي هي أحسن يقيم الحجة ويكشف الشبهة.

﴿يَصْحَجِي السَّجْنِ ۖ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ : إلى معبري الأحلام والرؤى: ﴿يَصْحَجِي السَّجْنِ ۖ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ كان همه الأعظم الدعوة إلى الله ، فما هو همك ؟!



❁ من أدب الدعوة: حسنُ الخطاب: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنُ﴾ ، تقبيحُ الشرك: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ ، وجاء تأويله لرؤياهما بعد دعوتهما ليكون أرجى للقبول.

❁ لا تفقد صفاء دينك ولو فقدت صفاء دنياك: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنُ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، يُذَكِّر يوسف بالله من جهلوه .. ويبصِّر - بفضل الله - من جحدوه .. وهذا شأن أولي الفضل من الناس .. فلم ينظر إلى ماضيه المرّ ، ولا إلى الظلم الواقع عليه في الحال ، إنما هو ثبات على الدعوة ، وإرشاد للبشرية في كل وقت وتحت أي ظرف ، نعم قد تختل موازينك الدنيوية لظروفٍ تمر بك ، لكن لا تجعلها تعرقل سيرك إلى الله ولا إلى هدفك المنشود.

❁ ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾: حرك عقل المستمع بسؤالٍ لتنقض فكره الباطل.

❁ ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾: من حقّ الصاحب على صاحبه الإنكارُ عليه.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ  
وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ  
أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

❁ هل يقال أن يوسف تدخل في شؤون الغير عندما قال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ ؟



❁ لا بُدَّ للداعية من الوضوح في تصوير الشرك وبشاعته والبعد عن المداهنات في القضايا الكبار: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾.

❁ ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ ﴾: لعدم نفع وضرر ما يعبد من دون الله .. كأنها مجرد أسماء ليس وراءها مسميات حقيقية! لضعفها أشبهت العدم!

❁ ﴿ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾: تحكيم الشريعة من أعظم العبودية لرب العالمين ، وهي من خصائص الربوبية .. فليخسأ المشرعون!

❁ ﴿ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾: باختصار: لا دستور غير الوحي ، فمن أوجدك من العدم هو من يستحق العبادة ، ويستحق توحيدَه في الحكم ، فهذه الآية ضربة لدعاة الديمقراطية وغيرها.

﴿ يَصْحَجِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ (٤١)

❁ ﴿ يَصْحَجِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا ﴾: من آداب التعبير ألا يذكر المعبر التفاصيل غير المهمة ، أو الموحشة ، فقد أبهم ولم يعين لرأي الخبز أنه الذي سيصلب ، عرّض بالكلام -دون تعيين- مراعاةً للنفسيات ، كما ينبغي في التعبير والحكم والإفتاء أن يكون الجواب حاسماً واضحاً فصلاً ، بألفاظ قليلة: ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ ﴾.



## أعظم سجين |

﴿سألوه تفسير الرؤيا فشرح لهم الدين والتوحيد ، وأسهب في شرحها في آياتٍ أربع ، ثم فسّر الرؤيا مقتضباً في آيةٍ واحدة! فلا مانع من إطالة الجواب وإضافة معلومات تزيد على السؤال لإفادة السائل.﴾

﴿إذا تكلمت وأطلت؛ فعند النهاية أشعر مستمعك بالختام: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.﴾

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ : تأويل الرؤيا ظنيٌّ - حتى مع الأنبياء - .

﴿لَا بُاسَ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنَ التَّخَادُمِ (طلب الخدمات) - سَيِّمًا مَعَ سَبْقِ إِحْسَانٍ -﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴿وما سوى ذلك يُتَرَفَعُ عَنْهُ.﴾

﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ، تأمل: ﴿بِضْعَ﴾ القرآن يعلمنا أن نتجاوز ما لا فائدة منه؛ فلا تشغل الناس بتفاصيل غير مهمّة ، ولكن أوجز وأشر ولمح .

﴿لَا تَقُلْ لِأَحَدٍ : ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ فقط؛ ثِقْ بِاللَّهِ يَخْرِجَكَ مِنْ ضَيْقِكَ بِرُؤْيَا يَرَاهَا سَجَّانُكَ .. يَفْجَرُ الطُّوفَانُ دِفَاعًا عَنْكَ .. يَخْسِفُ بِمَدِينَةِ سَخَرْتَ بِكَ !﴾

﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ : لم يبال بالسجن ، ولكنه اهتم بالسمعة .



﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: لنفترض أنه ذكره حينها ، سيرجع يوسفُ خادماً! لكنه تأخرَ بضَع سنين ليخرج عزيزاً على مصر ، فكم في التأخير من أُلطافٍ جليلة !

﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾: تكلفة نسيانه كانت سنين قُيدت فيها حرية نبي من أنبياء الله -ولله الأمر من قبل ومن بعد- ، ثم لما جاءه يطلب منه المشورة في رؤيا الملك لم يعفُ عنه فقط؛ بل تناسى القضية بأسرها؛ فياليتنا نتشبه بالأنبياء في جميع شؤون حياتنا.

﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ، ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ، ولما عبّر لهم الرؤيا لم يطلب منهم شيئاً ، وتعلق بالله ، فخرج.

﴿اعرف سنن الله في خلقه﴾: لمَّا طلب آدم الخلود في الجنة من جانب الشجرة؛ عوقب بالخروج منها .. ولمَّا طلب يوسف الخروج من السجن من جهة صاحب الرؤيا؛ لبث فيه بضَع سنين. لا ترجُ غير الله، ولا تؤمل من غيره شيئاً.

﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾: لا أحرص من الشيطان على بقاء الصالحين في السجن.

﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾: الأمور المستكرهة -كنسيان الخير والمصالح- تُنسب إلى سببها المباشر وهو الشيطان ، وإن كانت بقدر الله.

﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾: لو كان السجن منقصةً دوماً لما ابتلي به الكريمُ ابن الأكرمين؛ ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ فكان خلوةً إيمانيةً ومدرسةً دعويةً.

## مما يلي وفتن به يوسف عليه السلام

وكانت من صنع أقرب الناس إليه - وهم إخوانه - مما يجعل لهذا البلاء مذاقاً مرّاً ..

**الفتنة الأولى**  
**مؤامرة الاغتيال؛**

إخوة يوسف عليه السلام يغادرون ليتركوه وحيداً ليُمكث في ظلام الحب ، وكأن ذلك تهيئة له للسجن الحقيقي..

**الفتنة الثانية**  
**الإلقاء في الحب؛**

انتقاله من الحرية التي كان يعيشها مع والديه في عزٍ وتقدير ، إلى ذل العبودية والاستعباد في قصر عزيز مصر..

**الفتنة الثالثة**  
**الاستعباد؛**

كان يوسف عليه السلام صارخ الجمال ، ففتنت بجمالها امرأة العزيز مع فارق السن الكبير بينهما ..

**الفتنة الرابعة**  
**فتنة النساء؛**

إن أقسى ما يجده المسجون في السجن؛ عزله عما يحدث في الخارج ، عن أهله وأبنائه ، وكونه لا يملك قرار نفسه في الذهاب والإياب والطعام والبقاء في هذا المكان أو غيره.

**الفتنة الخامسة**  
**السجن؛**

السجين الذي يعلم متى يخرج ، وفي أي ساعة ينتهي ذلك الحبس لا يعاني مثل ذلك الذي لا يعلم متى تنتهي مدة الحبس ، مما يجعله في عذاب نفسي دائم ..

**الفتنة السادسة**  
**الإطالة في السجن؛**

ولا شك أن فتنة المنصب من أكبر الفتن التي يمكن أن يتعرض لها المسلم وخاصة الداعية ..

**الفتنة السابعة**  
**فتنة المنصب؛**

رؤيا الملك



يا من يئن خلف القضبان .. قد ينفك قيْدُك  
تحت جفن نومان!







## النور يأتي من الظلمة ..

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَأْسَدُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (٤٣)

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾: الخواطر والأحلام والأفكار في رؤوس الخلق تعمل بتدبير الله ، فحين يريد الله تغيير أفكارهم من أجلك ، وإذا شاء الله حدوث شيء هيباً له أسبابه.

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾: قد لا يكون في الرؤيا الحل ، ولكنها قد تكون سبباً لوجود الحل.

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾: لم يكن الفرج برؤيا السجين ، بل برؤيا الملك ، فخرج بالعلم لا بالشفاعة!

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾: يا من يئن خلف القضبان .. قد ينفك قيدك تحت جفن نومان!

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾: رؤيا المرء تناسب مقامه! فبقرات وسنبلات يراهن من ملك مصر ليست كبقرات وسنبلات يراهن من لا يملك أمراً! فلكل مقام معلوم.



❁ سبحان من جعل بداية شأن يوسف رؤيا ، ومفتاح عودته إلى القصر رؤيتين رأهما سجينان ، وجعل الرؤيا في آخر الأمر بداية اعتلائه عرش مصر ، وجمعته مع أبيه وأمه وإخوته! فإياك أن يرسل الله سبحانه لك رسائل عدة فتُهملها ، أحسن قراءتها ودقق فيها؛ فسبحان الله كم كان للرؤيا على مر التاريخ من دلالات!

❁ ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾: قبل أن تعرض سؤالك وفتواك .. تأكد من أهلية وجدارة من تسأل.

❁ ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾: راحة عقل الملك وتطبيقه مبدأ الشورى عصمت مصر - بإذن الله- من الهلاك قحطاً وجفافاً.

### ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلِمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالَمِينَ﴾ ٤٤

❁ ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلِمٌ﴾: لم يزل الملأ والبطانة حريصين على تسكين الملوك وإبعادهم عن الهم العام ، والتماس المخارج والمعاذير.

❁ ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلِمٌ﴾: ماذا لو عمل بكلامهم؟! هل كان سينجو أهل مصر من المجاعة؟! فمن توفيق الله للحاكم أن يرزقه بطانة صالحة ناصحة .

❁ استدل بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلِمٌ﴾ على ضعف قول من يقول أن الرؤيا تقع متى عُبِرت؛ لأن القوم قالوا: ﴿أَضْغَتْ أَحْلِمٌ﴾ ولم تكن كذلك ، فالرؤيا على رجل طائر ، فإذا عبرت التعبير الصحيح وقعت.



﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾: اعترفهم بجهلهم بالتأويل قاد للبحث عن يوسف فأنقذ البلاد من المجاعة؛ حين نقول «لا ندري» نقدم خدمةً عظيمةً.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ  
فَارْسِلُونِ﴾ ٤٥

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: كيف تنسى - كل هذه المدة - مَنْ أشعل في قلبك قناديل الفرح والأمل في يومٍ من الأيام؟

بعض المعلومات تختبئ لتخرج وقت الحاجة ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾.

﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾: من أثر الخمر ومجالسها في سلوك الإنسان وأخلاقه: تحوله إلى شخصية تبحث عن المصلحة الذاتية ، انتهازية تحب أن تُحمَد بما ليس فيها ، فنسب التأويل لنفسه ولم يذكر قصة يوسف.

﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَارْسِلُونِ﴾: واثق تمام الثقة بيوسف ، ففيه ثقة الطالب بالعالم.

### فائدة

إياك أن يرسل الله سبحانه لك رسائلَ عدةً  
فتهمّلها، أحسن قراءتها ودقق فيها؛ فسبحان  
الله كم كان للرؤيا على مر التاريخ من دلالات!



## بداية الفرج ..

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ  
يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ  
لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾: من أدب السؤال والفتيا تقديم عبارات لطيفة بين يدي السؤال ، ك (شيخنا) ، و (أحسن الله إليك) .

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾: لم يكن يوسف انتهازيًا ، فلم يطلب مقابلة الملك مثلاً ، بل قدم المصلحة العامة وأفتى بفتوى أنقذت البلاد .

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾: بعض عاصري الخمور أكثر أدبًا مع العلماء من بعض طلبة العلم..كن سخيًا بألفاظ التكريم مع من يستحقها .

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾: الصديقون في القرآن: إبراهيم عليه السلام ، يوسف عليه السلام ، إدريس عليه السلام ، مريم عليها السلام .

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾: انتبه! لا يكن المجرم المسجون أكثر عقلًا منك ، يبحث عن «صديق» ليستفتيه ، وأنت تسأل عن دينك من هبّ ودبّ!

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾: يظن البعض أنه تغلب على الحقيقة بإعلامه المضلل ، فتأبى الحقيقة إلا الظهور في النهاية .



﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾: لا بأس أن تُنْقَلَ الرؤيا من شخصٍ لآخر ، حتى تصلَ للمفسّر ، بشرط عدم التّغيير.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾: أيقبل؟! صديقٌ ومفتٍ مسجونٌ في قضية أخلاقية؟! أيقبل العقل مثل هذا؟! هذا الهراء لا يكون إلا في عالم الظلم والانحطاط ، والتاريخ يعيد نفسه .

﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: سبحان الله! أين حاجة يوسف؟ أين حقُّ الصِّدِّيقِ المظلوم؟ أين حق الصّحبة؟ وأين جزاء النعمة وردّ الجميل بالبشارة؟! كل ذلك لا يهم ، نسيها الخمرار ولله الحمد أن نسيها ، ليظلّ يوسف أغنى وأعز بجميع المقاييس ، ليس لأحدٍ من الخلق عليه منةٌ.

﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: رؤيا الملك في الغالب تنفع الشعب.

## السجن غرفة عمليات ..

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ ۖ  
إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ (٤٧)

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾: من أدب الحديث لم يقل «ازرعوا».

﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾: إنها أخلاق الكبار ، فبعد كل هذا الظلم والسجن لبضع سنين يحضهم النصيحة لإصلاح دنياهم ، إنه حلم الأنبياء.



﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾: لقد كانت لهم احتياجات كثيرة زمن الرخاء ربما بدت لهم ضرورية ، لكن لا بد من ربط الأحزمة.

﴿مَقْصُودُ الشَّرَائِعِ إِرْشَادُ النَّاسِ إِلَى مَصَالِحِهِمُ الْآخِرِيَّةِ وَالْدُنْيَوِيَّةِ مَعًا ، وَهَذَا فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ.﴾

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ (٤٨)

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾: دليل على جواز الادخار والاحتياط للزمن المخوف.

﴿مِنْ أَدَبِ الْحَدِيثِ: لَمْ يَقُلْ «لَا تَأْكُلُوهُ» كُلَّهُ ، بَلْ قَالَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.﴾

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (٤٩)

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: من الجميل إذا أحزنت أحدهم بخبر؛ أن تفرّحه بآخر.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: كيف استنبط يوسف عليه السلام العلم بإتيان عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون مع أن الرؤيا لم تتضمن إشارة إليه؟ إنها سنة الفرج بعد الشدة.

﴿لَا يَأْتِيكَ حَزَنٌ دَائِمٌ أَبَدًا ، بَلِ الْأَيَّامُ دُولٌ: ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾.﴾



﴿عَامٌ فِيهِ يُعَاتُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: لا يعصر إلا ذو نعمة وخير.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ﴾: لا تُجِب - أَيُّهَا الْعَالِم - كل الدعوات الآتية من أصحاب الدنيا؛ حافظ على هيبة ما لديك.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ﴾: أصحاب الطاقات والقدرات لا بد أن يحتويهم أصحاب السلطات.

﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: لا تتحطم السجون إلا بهذه الكلمات؛ فالروح إذا ارتفعت بالقرب من الله؛ لم تعد أسوار الأرض وحواجزها تقف عقبة أمام انطلاقها.

﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾: لم يقل أسأل النسوة؛ بل أسأل السلطة التي وقع في حكمها هذا الظلم والفساد.

﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾: لا تطالب الظالم بالعفو عن المسجونين (المعتقلين) ظلمًا؛ طالبه أولاً بالعدل وإعلان براءة المظلوم: ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾.



﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾: لا بد من ثبوت براءته ونقائه وطهره ، فلا يمتنّ عليه ملك ولا غيره ، إعدادا لعزیز مصرّ الجديد؛ فينبغي للمرء أن يحرص على سمعته وشرفه أعظم من حرصه على فكاكه من حبسه.

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾، يقول لرسول الملك ﴿أَرْجِعْ﴾ .. الذي ينتصر على نفسه ينتصر على كل ملوك الدنيا !!

﴿فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾: لن تُغْنِي عنك الحرية إذا كانت سمعتك ملطخة؛ ما فائدة حرية مع سمعة مشوهة؟

﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: منظر الدم يستحيل نسيانه .. مع أنهم فعلن ما هو أشد من تقطيع الأيدي ، إلا أن للدم هيبتَه.

﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: سكّت عن امرأة العزيز -والعلم عند الله- مع أنها تمثل رأس الأفعى؛ حتى لا تأخذها العزة بالأثم ، وحتى لا يتفاقم شرّها عليه ، فالمهم إيجاد حل للمعضلة لا التراشق بالتهم ، وهكذا ينبغي لنا التعريض في بعض الأمور -لا التصريح- إن كان التصريح قد يؤدي إلى ما لا يحمد عقباه ، وسكت عنها أيضًا لما كان لها وللعزيز عليه من فضل ، فكان من حسن أدبه البالغ ﷺ ، في حين صرّح الملك بالتهمة لهن.

### فائدة

أصحاب الطاقات والقدرات لا بدّ أن  
يحتويهم أصحاب السلطات.





﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ  
خَشِيَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ  
حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾

﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾: اسمع من جميع الأطراف المتنازعة.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ خَشِيَ لِلَّهِ﴾: بسؤال حازم واستقصاء بسيط يستطيع ولي الأمر إنهاء أكذوبة تسببت في سجن بريء.

﴿قُلْتُ خَشِيَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾: تاريخك يساندك؛ فاحرص عليه ، وأخلاقك تدافع عنك في غيابك.

﴿قُلْتُ خَشِيَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾: مهما قدحوا في عفة العفيف؛ فإن الله يبرئه ، فالحق أصيل ، ولا بد أن يظهره الله ولو بعد حين ، فلا يغرنك ما ترى من انتفاش الباطل وبهرجه.

﴿الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: لا بد أن تظهر براءتك يوماً ما .. فقط اصبر ، وهي همسة في أذن المظلوم؛ تنام الحقيقة ، وتنام طويلاً جداً أحياناً .. لكنها لا تموت!

﴿الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾: كان ينبغي أن يحصص الحق قديماً لا الآن فقط ، لكنها الساعة التي يعجز فيها الإنسان عن مقاومة عذاب الضمير ، فلم تكن مضطرة للاعتراف ، لكن الشعور بتأنيب الضمير ، وأصوات الحق ، وصور المظلومين تطاردنا من الداخل ، فسبحان الله؛ بأمر من القوي العزيز؛ تنهار امرأة العزيز.



﴿الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: ما أشدّ فضيحتها وهي تعترف أمام الملك والملاّ وزوجها! فإياك والذنوب؛ سيأتي عليك يوم تحاسب عليها أمام ملك الملوك والخلق أجمعين - إن لم تتب منها قبل موتك - ، هي والله الفضيحة الكبرى ، نعوذ بالله !

﴿الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ﴾: لم تأتِ هذه اللفظة في القرآن في غير هذا الموضع؛ فبراءة يوسف ﷺ قد ثبتت بطريقة كانت في غاية العلو والعظمة ، وبأن الحق على أكمل وجه ، وشهد له كل من كان له دخل ببراءته في ذاك المجلس.

﴿الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل؛ وكما أهلك العزة بالإثم أفراداً وأمماً!

﴿الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾: الصدق منجاة؛

﴿الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾: من عجائب الجزاء في الدنيا: لما بغت عليه امرأة العزيز بدعواها ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ ؛ أنطقها الحق بعد حين ﴿أَنَا رَوَدْتُهُ﴾ .

﴿الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: جمع الله ليوسف لإظهار صدقه شهادتها على نفسها وإقرارها بذنبها؛ حتى لا يخامر نفساً ظنّاً ، ولا يخالطها شك.

﴿الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾: ﴿رَوَدْتُ يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾: العرض قرين النفس ، فإذا ذهب العرض والشرف فلا نفس تستحق الكرامة.

﴿الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾: إذا أراد الملك صيانة جناب العلماء (ما خطبكن)؛ فستحول الرعية إلى مدافعين عنهم - حتى ألدّ الخصوم - !

﴿الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: الصادق كلامه لا يتغير ، ولكن الكاذب كلامه ألوان.



من بين المكائد ارتفع صوت: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ ، وفي عمق البئر سمع: ﴿يَبْشُرِي﴾ ،  
وفي القصر جاءت وصية: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ ، ومن كوة السجن سمع: ﴿أَنَا رَاوِدُهُ﴾ .

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٢)

مهما تمكن المخادعون واطمأنوا لحيلهم وتفننوا في كيل التهم للأبرياء؛ فإن الله كاشفُ  
أمرهم ولو بعد حين ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ .

كيد الخائن لا يطول ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ ، فبئست الخيانة مركباً ! سرعان  
ما تطوح بصاحبها في مهاوي الضلالات ، وترفع له لواء يوم القيامة؛ هذه غدرة فلان بن فلان!  
فإياكم والخيانة.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ  
إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥٣)

النفس الأمارة ثعبانٌ يتلوى بين الأضلاع يلدغ صاحبه: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾  
إلا أن تتداركه رحمة الله ومغفرته: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

إقرارك بالذنب مع انكسارك سببٌ في حصول المغفرة والرحمة بإذن الغفور الرحيم ..  
فإياك والمكابرة أو شرعنة الذنب: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ  
رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .



❁ لم يذكر القرآن إن كان تزوجها أم لا؛ لأننا لسنا في أفلام ، فالقرآن يهتم بما يزكي النفوس وليس الغرض من سرد القصة؛ ذكر النهايات المريحة للنفوس التي لديها شغف بقضية الشهوة.

### فائدة

إذا أراد الملك صيانة جناب العلماء (ما  
خطبتن؛ فستتحول الرعية إلى مدافعين  
عنهم -حتى ألدّ الخصوم-!

على خزائن الأرض



تأتيك الدنيا راغمةً حين تخرج منتصرًا

من نفق الظلم!





## الولاية والتمكين ..

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ  
إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤﴾

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾: تأتيك الدنيا راغمةً حين تخرج منتصراً من نفق الظلم.

﴿ قَالَ الْمَلِكُ أَوَّلًا: ﴿ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ ﴾ فقط ، فلما لم يفعل يوسف عليه السلام وتبين للملك علو شأن هذا النبي الكريم قال ثانياً: ﴿ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ ﴾ بزيادة: ﴿ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾ ، وهذا يرسم منهج الطغاة عند وجود المصلحة والمنفعة ، فهذا الطاغية -وأمثاله كثير- لم يبال بيوسف عليه السلام وهو في السجن لسنين مديدة ، ولا يعنيه أصلاً كم سنة من عمره ذهبت وراء القضبان ، ولم يتفكر في شأنه وكيف ينام ليلة ويمضي وقته ، لكن عندما كلمه واحتاج له قال كلمته: ﴿ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾ واجعله من خاصتي وكأنه المتكرم!

﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ ، ﴿ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْفَعَهُ وَلَدًا ﴾ ، ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾ لا تتوقع أن يراك الجميع بعين واحدة.

﴿ بعد التأويل قال الملك: ﴿ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ ﴾ وبعد البراءة قال: ﴿ أَتُؤْنِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾؛ علمك يجعلهم يقربونك ، وفراحتك تجعلهم يصطفونك ، فالنفاسة على قدر النزاهة. الجمال قاده إلى السجن ، والعلم قاده إلى الملك.



﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ ﴾: جُبلت نفوس الملوك على حب الاستئثار بالفرائد.

أيها المظلوم؛ أخلص التوجه لله وحده .. فوَضْ أمرِك إليه محسناً ظنَّك به ، فلربما جعل ظالمك يحتاج إليك .

﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾: فقط الملك (كَلَّمَ) يوسف ﷺ فجعله مكيناً أميناً؛ فبالكلام يبين المرء ، ولن تعرف الشخص حتى يتكلم ، وكما قيل: «تكلم حتى أراك».

﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾: أنزلوا الدعاة العاملين المخلصين منازلهم ، ينصلح حال البلاد والعباد وتتفوق الدولة حتى على المستوى الاقتصادي؛ فالدعاة إلى الله شخصيات مبهرة ومقنعة ، لذلك يحرص المفسدون على الحيلولة دون وصولهم لصنَّاع القرار.

﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ ﴾: لم يبال بصورته ، لكنه عرف مخبره من منطقته.

﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ ﴾: يوسف من أجمل خلق الله؛ ومع هذا لم يُخرجه جماله من السجن ، بل أخرجه جمال العلم الذي في صدره.

﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾: لم يكن الملك آنذاك يسعى في صلاح الدين! إنما أيقن أنه لن تقومَ أمور دولته إلا بالأمانة ، فهو فعل ما فعل لا لإقامة الدين ، بل لإقامة الدنيا في دولته! فقبَّح الله حكاماً ما فقهوا صلاح دينهم ولا دنياهم !

﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾: سبحان من سَخَّر إخوة يوسف له ، أخذوه من أبيه ليكون أعظم أهل زمانه ، الحسد قد يخدم المحسود في بعض الأحيان!





## ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۖ ﴾

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۖ ﴾: اعترافك بقدراتك ومواهبك لا يُعَدُّ كبيراً ، فإن بلغت مبلغ يوسف فقل قوله! وإلا فعليك بسنة محمد ﷺ: «إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلَتْ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا» (متفق عليه).

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۖ ﴾: إخراجها من أزمته ، فبعد خروجه يقول: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۖ ﴾ ، نفس فوق الانتقام وتصفية الحسابات. ليتنا نطبقها مع القريب قبل البعيد فنظفر ببيئة سليمة الصدر ، وفعله يسير على من يسره الله عليه.

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۖ ﴾: قال يوسف عليه السلام: وقالت فتاة مدين عن موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ أُسْتَجِرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ الصفات الأساسية للقائد هي: الحفظ، العلم، القوة، الأمانة؛ فهذه مؤهلات الولاية ، وليس النسب والوراثة والصدقة. وفي الآية فائدة؛ وهي: جواز ذكر ما تُحَسِّنُهُ لمن يهمله الأمر؛ ليعمَّ النفع .. دون خجل ولا مباهاة ، ويدخل فيها ما يعرف بـ (السيرة الذاتية).

﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۖ ﴾: الشؤون الاقتصادية تتطلب شرطين:

١- الحفظ والأمانة ٢- العلم والخبرة. فمن حفظ ولم يعلم ، أو علم ولم يحفظ ضيع.

﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۖ ﴾: الإمساك بزمam المال وإحسان تصريفه سبيل لحفظه واستثماره فيما يحقق الاستقرار والنماء: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۖ ﴾.



البعض لا يفهم بُعد شخصية يوسف عليه السلام ، فبناءً على دلاله في صغره وجماله الباهر يظن أكثر الناس أن تلك هي الصفات الغالبة عليه ، لكن العجب هو من حكمة الله في حراسة هذا الجمال بطبع جعله في يوسف نفسه ، فقد منحه الله شخصية قوية غاية القوة ، واثقة تمام الثقة! وبذا كان التكامل العجيب! تأمل قوة شخصيته في صغره وهو يقول في ثقة: ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي رَأَيْتُ﴾ [يوسف: ٤]. وعند اكتمال أشده: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ، وتأمل وقفته في خلوة امرأة العزيز ، وعند اجتماع النسوة ، وشخصيته المرجعية في السجن ، وشخصيته الشجاعة التي لا تهاب ملكاً ولا غيره ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ، وشخصيته المتأنية الواثقة بحقها في وجه أكبر الرؤوس: ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ﴾ ، وشخصيته المقدمة حين قال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ !

## من السجن إلى القصر ..

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦)

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ : بعد سجنه الضيق .. عوضه الله بالأرض الواسعة يتبوا منها حيث يشاء! فسبحان مغير الأحوال! لا تيأس من روح الله؛ فعما قليل تنقش الغمة ، وهنيئاً ليوסף عليه السلام ولكل يوسف!

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ : تأمل الاختصار الرائع ، لم يذكر أن الملك قد أجاب طلبه وولاه خزائن الملك وصار يوسف وزيراً مكان العزيز ... إلخ ، تجاوزها القرآن كلها ليأخذك إلى المعاني الإيمانية الأهم من ذلك؛ وهي شهود أفعال الرب سبحانه ، فهو مالك الملك يعطيه من يشاء وينزعه ممن يشاء.



﴿وَأَلْقَوْهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ ، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ بين قعر البئر وعرش مصر؛ لا تياس.

حاول أن تتأمل الأحداث بعين القدر لا بعين البشر؛ تأمل الأحداث وسترى عجائب جريان القدر على أيدي البشر! الإخوة يريدون به كيداً فيأخذونه من البيت إلى البئر ، وفعلهم هذا فيما قُدِّرَ أنهم يوصلونه إلى المحطة التي سوف يُحمل منها إلى أرض الحكم! والسيارة تحمله من البئر إلى مصر عبداً ملتقطاً وتبيعه بدراهم معدودة كعبد ، وما علموا أنهم إنما حملوه ليوصلوه إلى القصر! وامرأة العزيز تقول: ﴿لَيْسَ جَنَّ﴾ وما علمت هي وزوجها أنهم إنما يحملونه إلى المحطة الأخيرة لاستلام الحكم!

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾: فليست الرحمة قاصرةً على يوسف عليه السلام.

لم تكن شخصية يوسف الشخصية الوادعة الناعمة التي خلقت للجمال والترف والوزارة والملك! بل هي الشخصية القوية القيادية المجربة الفذة!

لم يُمكن ليوسف بجيش عرمرم ، وإنما مكن بطريقة أخرى تماماً من طرق التمكين لم تدرس كما ينبغي! أرايتم كيف تختلف طرق التمكين وأسبابه في الآيات وفي الواقع؟ ألا إنَّ الْمُمَكَّنَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ، ولا ممكّن لكم سواه؛ فلا تشركوا به في ذلك أحداً!

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ما أرحم الله وما أعدل: فالعباد دائرون بين رحمته وعدله.



## ﴿وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٥٧

﴿وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾: لا بد ألا يكون أمل النفوس هو التمكين في الأرض لأجل الراحة والملك ، بل أجر الآخرة هو الرجاء ، والسبيل إليه: الإيمان والتقوى.

﴿وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾: ما أعظم العزاء لمن فاته شيء من الجزاء الدنيوي ، وإنما يشعر بذلك من جمع بين وصفين؛ ﴿ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.



### ومضة

يوسف من أجمل خلق الله؛ ومع هذا لم يُخرجه جماله من السجن؛ بل أخرجه جمال العلم الذي في صدره.

## رحلة بنيامين



مشكلة أخيك أنه حتى إن خططت لاغتياله ،  
وإن أحرقت قلبه ، وإن شوّهت ذكرياته؛ يبقى أخاك!





## ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (٥٨)

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ : مشكلة أخيك أنه وإن خططت لاغتياله ، وإن أحرقت قلبه ، وإن شوّهت ذكرياته؛ يبقى أخاك!

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ ﴾ : لا بد للقيادي المخلص من متابعة مصالح الشعب بنفسه.

بين ﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ و ﴿ فَعَرَفَهُمْ ﴾ .. شريط ذكرياتٍ ساخن.. شاحب.. سريع.. كَلَّه دموعٌ وغصص .. وآهات وقصص.

﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ : كيف ينسى من خطط لاغتياله؟ كيف ينسى تلك الوجوه التي رمقته من أعلى البئر لتتأكد أنها تخلصت منه؟!

﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ : ما كل ما يُعرف يقال.

## ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْجٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْآلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ (٥٩)

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي ﴾ : قدّم اللطف وأحسن قبل أن تطلب.

﴿ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْجٍ لَكُمْ ﴾ : لم تنسِه أبهة المنصب أشواق الأخوة.



﴿ قَالَ أَتَأْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾: تعدد الزوجات كان عندهم.

﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ ﴾: من كنت ذا يدٍ عليه وخفت أن يجحدَ فضلك فنبهه لذلك.

﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾: أوضح لمن جهلك أمانتك وصدقك ليأمنك.

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾

منذ القدم والحصار الاقتصادي يحطم حصون النفوس العزيزة ، ويسلم فلذات الأكباد إلى مغيبات الأقدار؛ ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي ﴾ ، وفيها مشروعية المقاطعة الاقتصادية لتحصيل غرض مشروع.

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾: من يملك حاجتك يملك قرارك .. استغنِ عما في أيدي الناس تكن سيدَ نفسك .. كذا الأمة؛ إن استغنت سادت.

﴿ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾: من كنت تثق بحبه لك أو بحاجته إليك فمن الممكن تصحيح سلوكه بتهديده بالحرمان.

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾: في بعض الوقت ، ومع بعض الخلق قد تكون الشدة أجدى من التساهل.

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي ﴾: لو أنصتوا لغضب عباراته .. وحرارة تعبيراته .. لأدركوا أنه يوسف!





﴿ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ﴿٦١﴾

﴿ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ : مشروع جولة جديدة لترويع قلب أسيف!

﴿ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ : يغلب الابن الأب أحياناً.

﴿ وَقَالَ لِفَتْنِيْنِهِ أَجْعَلُوا بِضَعَنَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿ وَقَالَ لِفَتْنِيْنِهِ أَجْعَلُوا بِضَعَنَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ ﴾ : الشفافية بين السيد والخدام.

﴿ وَقَالَ لِفَتْنِيْنِهِ ﴾ : كان قبل السجن فتىً في بيت العزيز .. فصار بعد السجن عزيزاً عنده فتيان ، فالتمكين لا يأتي إلا بعد الابتلاء. وفيها: تسمية الخادم فتىً.

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مُنْعَ مِنَّا الْكِدُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾

﴿ مُنْعَ مِنَّا الْكِدُ ﴾ : مع أنه لم يُمنع بعد! لا للتشاؤم ونشر الرسائل السلبية ، وفيه سوء تقدير للأمور وترتيبها.



﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ ، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ ، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ .. الأولى جعلت الثانية بلا قيمة.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾  
﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ (٦٤)

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾: احذر؛ إذا فقد أحبتك ثقتهم فيك؛ فمن الصعب جدًا أن تُعطاهما مجددًا.

المؤمن العاقل يستفيد من دروس الزمان ، ولا يلدغ من جحرٍ مرتين؛ ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ فيتحرى ويشترط.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾: قيل لعله يراعي مشاعرهم وقد أحرقوا قلبه! فقال ﴿أَخِيهِ﴾ ولم يقل ولدي.

﴿إِن اللَّهَ يَغَارُ وَلَا يَرْضَى لَأَنْبِيَائِهِ إِلَّا الْكَمَالَ﴾ ، فلذلك لما تعلق قلب يعقوبَ بيوسف ، وقرب بنيامين ليعوضه عنه؛ أراد الله إبعاده ليذهبَ هذا التعلق.

﴿عِنْدَمَا قَالَ: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ غَابَ عَنْهُ ابْنُهُ ، وَلَمَّا قَالَ: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ وَ ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ عاد إليه ابنه!

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾: ما زال التوحيد والتوكل حيًّا غُضًّا في قلوب الأنبياء حتى في تكرار المآسي.



﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ  
قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا  
وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾  
الإحسان يشعر الإنسان بالأمان ، ويفتح من القلب ما كان مغلقاً.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ  
كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾: هكذا النفس الإنسانية إذا اشتتت أمراً حشدت له من  
الدلائل والذرائع ما لا حدَّ له!

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: الميرة أولاً والأخ ثانياً! عندما تنتكس الأولويات؛ لا ينطلي  
عليك إدراج الآخرين أهم ما يعنيك في طيات كلامهم ، وجعله والتوافه في درجة واحدة.

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: فيها قلة توفيقٍ؛ وسوء التقدير جعلهم يقولون مثل ما قالوا في يوسف:  
﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: ظنوا أنهم سيعملون أباهم على التضحية بابنه مقابل حمل  
بعيرٍ واحدٍ إضافي! المقاييسُ الخاطئة!

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: تسهيل المعاملات؛ حكومة الأنبياء.



﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ، مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ، مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ ﴾: رغم توكله العظيم طلب من أبنائه الضمان؛ فالمصائب تحمل العقلاء على التعقل والتيقظ والاحتياط في المرات القادمة ، وهذا مما لا ينافي التوكل.

﴿ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ ﴾: ينبغي اتخاذ التوثيقات في المعاقبات ، وما أكثر ما تبدأ الأمور بمجاملاتٍ وتنتهي بخلافات.

﴿ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ ﴾: انتبه ، واحرص ألا تتزعزع ثقة الناس بك؛ فإنها إن ذهب ، فصعب جداً أن تعود.

﴿ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا ﴾: فيها التربية على الوفاء بالوعد.

﴿ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾: بعض الأعداء تقبل.

﴿ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾: من هدي الأنبياء ختم العقود والتوثيقات بعبارة: لما فيها من الذكرى للطرفين ، فبهذا هم اقتده.



﴿ وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٦٧)

شاهد قلب الأب وحنانه وتسامحه؛ فعلوا ما فعلوا ، ومع ذلك يناديهم ﴿يَبْنِي﴾ وينصحهم بالدخول من أبواب متفرقة خوفاً عليهم؛ مهما يفعل الأبناء فلن يزال قلب الأب ناصحاً لهم ، فعجباً للأبوة! فجعوا قلبه بيوسف ، وما زال يحبهم!

﴿ وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾: لا يعني إن أخطأت ألا أهتم بك.

﴿ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾: ابتعد عن مواطن الحسد.

﴿ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾: من وسائل حفظ الأبناء: توجيههم وحثهم على الأخذ بالأسباب الشرعية من أوراـ كإذكار ونحوها- ، وعلى تجنب ما قد يكون سبباً في شقاؤهم ، وخير ما يسمعه الأبناء من الآباء ما قاله يعقوب ؑ لأبنائه في سورة البقرة: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

﴿ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾: مع ما فعلوه من قبل ، إلا أن مشهد عطف الأب الحنون على أبنائه وشفقته عليهم لا يكاد يفارق السورة ، فأين من يطرد أبناءه لأتفه الأسباب؟! وأين من يعيرهم ويتوعدهم بالحرمان حتى من الميراث؟!

﴿ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾: العين حق ينبغي اتقاؤها بتجنب التباهي بما يثير النفوس الحاسدة ، لكن لا يبلغ به الأمر مبلغ الإعاقة والحرج والتكلف.



## رحلة بنيامين |

﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾: عندما تفرقت آراؤهم .. وأجمعوا على جعل الجب مأوى ليوسف .. تفرقوا في الأبواب .. وجمعهم الله في قصر يوسف!

﴿إِنَّ الَّذِي قَالَ: ﴿يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ خَشْيَةَ الْحَسَدِ، هُوَ الَّذِي قَالَ: ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: خوفك لن يحمي ولدك؛ فتوكل ، ولا تُربِّ أبناءك على فوبيبا الخوف من العين؛ بل علمهم التوكل مع الابتعاد عن مظان الحسد.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٨)

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾: التربية أن تجعل الولد يطيعك ، لا أن يخافك.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾: لا يلزم من الخطأ الأول أن يكون الولد دائم الخطأ؛ فقد يخطئ مرة ويطيع مرات.

﴿إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: من تمام العلم: ألا تعاند نفسك في حاجاتها الفطرية التي لا تخالف شرعاً ولا عقلاً.

﴿إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾: من البر تلبية رغبة (الوالد) ولو لم تعرف وجهها يكفي (أنها رغبته).

## كيد الله ليوسف



إذا أحببك الله؛ كاد لك ، وجعل محبوباتك سهلة المنال ،  
حتى خيالاتك الجميلة يحولها إلى ممكنات أجمل..







﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦٩)

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾  
التعريف واجب لبث الطمأنينة؛ فالنفوس تنفر من المجاهيل.  
وفيها جواز أن يخص الرجل أحد إخوانه بسرّه.

﴿ يَنْبَغِي التَّلَطُّفَ وَعَدَمَ الْمَفَاجَأَةِ وَتَرْوِيعَ الْمُؤْمِنِ ﴾ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ  
فَلَا تَبْتَئِسْ ﴿ كي لا تصدمه التهمة.

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ ، ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ  
ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ ﴾ النبلاء يبادرون دومًا إلى إكرام ذوي رحمتهم وأقاربهم.

﴿ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ ﴾: لا تجعل حيرة التوقعات تنهش قلوب أحبائك .. صارحهم  
بالحقيقة .. أطفئ لوعة الفقد .. أوضح لهم كل شيء.

﴿ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾: وجود الأخ يذهب البؤس ، ويعين على تحمل النوائب ،  
ويبرد حرارة القلب .. وهذه هي الأخوة.

﴿ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾: كُنْ فِي الْأَزْمَاتِ مُصَدِّرَ  
أَمَانٍ وَاطْمَئِنَّانٍ ؛ فنشر الطمأنينة ساعات القلق عملٌ عظيم.



﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ  
ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ (٧٠)

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾: الإشراف الكامل من قبل المسؤول على العاملين.

﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾: نعم سرقوا يوسف من أبيه!

﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: فيها جواز التوصل إلى المقصود المباح بالحيلة المباحة.

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾ (٧١)

﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾: ليكن حديثك - حتى مع متهمك - مقابلة وليس إعراضاً.

﴿أَتَتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾: عادوا مستغربين هذا الاتهام الخطير ، مستفهمين بأدب جم ﴿مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾ ، ولم يقولوا: «ماذا سرقنا؟» ، وكان على المنادي أن يقول: «إنا افتقدنا صواع الملك» ، فإذا وجدوا ما فقدوه في رحالهم قالوا لهم: «أنتم سارقون» ، أما أن يتهموهم مباشرة دون دليل فليس من الأخلاق ، فقال المنادون بعد ذلك: ﴿نَفَقْدُ صَوَاعِ الْمَلِكِ﴾ ، فيحسُن بنا انتقاء الألفاظ الحسنة حتى مع المدعى عليه.

﴿مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾: استفهم قبل أن تدافع عن نفسك.

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾: البريء واثقُ اللهجة ، ثابتُ القول والتصرفات ، لا يتلأأ في الاستجابة ، بخلاف المريب فإنه يماطل ويتجاهل حتى يفضحه الله.



﴿ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ  
وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ (٧٢)

﴿ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾: يبدو أن الصواع ثمين مقابل هذا العطاء في زمن القحط.

﴿ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾: تناسب الجائزة مع الظروف في تلك الحقبة؛ فلم تكن نقدية.

﴿ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾: مشروعية الجعالة والحوافز ، ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ مشروعية الكفالة.

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ  
وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ (٧٣)

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ﴾: من أساليب الإقناع أن توحى لمحدثك أن كلامك مسلمة ، كقولك: «كما تعلم ...» ، «لا يخفى على مثلك ...».

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾: حين تعصي الله .. فأنت تفسد في الأرض ؛ السرقة - وغيرها من المعاصي - فساد.



﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٧٤)

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾: دع المخطئ أحياناً يختار نوع العقاب لو أخطأ.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾: الاسترسال مع الخصم ليقيم الحجة على نفسه.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي  
الظَّالِمِينَ﴾ (٧٥)

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي : يؤخذ السارق

رهينة؛ ثم قال الله: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ ، إذا كاد الله لك ألهم عدوك حجتك..

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ السارقة .. ظلم

### همسة

وجود الأخ يذهب البؤس، ويعين على  
تحمل النوائب، ويبرد حرارة القلب ..  
وهذا الأصل في الأخوة.



﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ  
وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي  
دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ  
كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦)

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ استخدام الحيلة لاسترداد الحقوق ما لم تُخالف الشريعة.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ مهّد لمفاجأتك.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: كلهم إخوته ، ولكن إن اجتمعوا انصبّت الأخوة  
الحقة على من لم يعيث بها.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: مع علمه أنه في وِعاء أخيه؛ دفعاً للشبهة ، ولما  
تقتضيه حبكة المكيدة من استفراغ الاحتمالات لتحصر في الهدف المراد ، ولئلا يقال إذا وجد  
الصواع في أول متاع يفتشه: إن فتیان العزيز هم الذين أخفوا الصواع في رحله.

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: إذا أحبك الله؛ كاد لك ، وجعل محبوباتك سهلة المنال ،  
وحتى خيالاتك الجميلة يحولها إلى ممكنات أجمل.

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: الكيد منه المشروع ومنه غير ذلك؛ فالكيد في السورة على  
ثلاثة أوجه؛ كيد إخوة يوسف -وكان محرّكهم الحسد- ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ ، وكيد امرأة  
العزيز -وكان دافعها الشهوة- ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ ، وكيد يوسف - وكان مطلبه لم  
الشم - ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾؛ فالكيد المشروع له أصول وطرق ومقاصد .. لا كما  
يظن البعض (الغاية تبرر الوسيلة).



﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾: هذا النص يحدد مدلول كلمة «الدين» تحديداً دقيقاً .. فدين الله: هو نظامه وشرعه وفق النصوص.

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾: اقتران الرفع بالعلم ، يكسوهما تواضع ظاهر.

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾: من العلم المعتبر: علم الحيل المشروعة؛ ذلك أن سياق الآيات يفيد ذلك .

﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (٧٧)

﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ ﴾: أحيانا العرق في الأنساب .. يشاكل الأخلاق؛ ولذا

﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ ﴾: هكذا الناس دوماً؛ يربطون بين الأحداث دون تحقق وتمييز ، فيقعون في الإثم من حيث لا يشعرون.

﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ ﴾: أصابه سهم الكلمة الجارحة وهو على كرسي العز والوزارة؛ فلا أحد في مأمن من كدر الحياة .

﴿ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾: قمة في الحلم؛ فالعظماء صدورهم مستودع، هل رأيتم تغافلاً أرق من هذا؟! وأهاً للنفوس الكبيرة.



﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: ربما يتعذر الذبّ عن النفس علانيةً ، فيلجأ المرء إلى حديث النفس ليسري عنها ما تجد .

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: عوّد نفسك ضبط ردود فعلك إذا أردت أن تحقق هدفك وتبلغ مرادك .

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾: إذا نظرت لأيّ حوار بنظرة الغالب والمغلوب .. غالباً ستحاول نصرة رأيك ، ولن تتجرد للحق ولا للمصلحة العامة ، وعليه لو وُجد ثمة فائدة عند مخالفك فلن تستفيد منها ، وغالب هذا الصنف لا يكاد يبلور عقله .

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾: بعض الكلام قد تتجاهله ، ليس لانعدام الردّ ، وليس لضعف الشخصية ، بل تدع الأيام لتبيدي ما أردته دون أن تتكلم ، وهذا منطق القوة!

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾: احتفل بكلماتهم الجارحة؛ فلولا: ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾ لم يُمدح يوسف هنا .

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: رحم الله امرءاً كتم سرّاً ، وتنازل عن حق ليؤلف قلوب إخوانه ، أو يقطع سرّاً ، رحم الله من تغافل لأجل «بقاء الود» ؛ فهناك علاقات أقوى وأكبر من أن تضيعها كلمة .

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: قد يكون أصدق ما عندنا مكنوناً في أنفسنا .





﴿فَأَسْرَهَا﴾: العُظماء؛ صدورهم مستودع ، تقبر الكلمات الجارحة إلى الأبد.

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: عرض التبريرات والمصارحة لإظهار الحقيقة ضار في وقته!

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: الكلمة المؤلمة التي تطويها في داخلك تبقيك أنت عزيزاً نبيلًا؛ أسرها يوسف فنشر الله ذكره الحسن في المصاحف والمحاريب.

﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾: حينما أئخنوه بالكلمة توجّع ، فالكلمة أشد فتكا ، وألم الافتراء لا يعدله ألم.

﴿قَالُوا يَتَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿قَالُوا يَتَأَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾: احترام ذوي المناصب وتسميتهم باللقب.

﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾: استعطفوا يوسف بأن أباه «شيخٌ كبيرٌ»؛ فالشيخ الكبير أولى بالشفقة والخدمة والتجاوز عن زلاته ، ومما يسترحم به منذ القدم -والى الآن- في حال السجين: أن يكون والداه -أو أحدهما- ممن مسه الكبر.

﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ ينبغي لمن أراد أمرًا أن يتلفظ بذكر المسوغات بين يدي طلبه وفي خاتمته ﴿إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿سَبْحَانَ مَغِيرِ الْأَحْوَالِ! قَالُوا مَرَّةً﴾: ﴿أَقُولُوا يُوسُفُ﴾ وقالوا أخرى: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ ذهب طيشُ الشباب ، وحلت سكينه الكهولة! كلُّ شيءٍ يتغير.





﴿إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾: يصلح شاهداً للمثل المشهور «ضربتان بالرأس توجع».

﴿إِنَّا نَرْكَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: مرتين؛ مرةً في السجن. ومرةً وهو عزيز مصر.. المحسن يبقى محسناً لا تغيّره الدنيا.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ  
إِنَّا إِذَا لَطَلِمُوتٌ﴾

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: حتى ييأس منك من يلح في الطلب؛ استجر بالله منه.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ﴾: لم يقل «من سرق» لأنه يعلم أن أخاه لم يسرق ، فما أوجنا إلى وزن العبارة ، مع دقة التعبير في كلماتنا بالذات مع الخصوم ، وبتجرد ، دون إفراط أو تفريط.

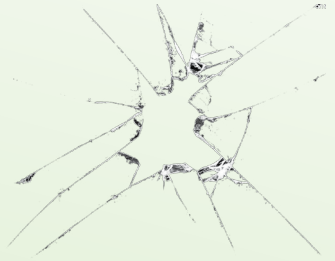
﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ﴾: وفي استعاذته دليل على حاجة الحاكم إلى اللجوء إلى الله والدعاء ، ليعافيه من ظلم الأبرياء.

﴿إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُوتٌ﴾: من الظلم أخذ الرجل بجريرة غيره ، ألا فليتيق الله أقوام يأخذون بالضئنة والتقريب.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ﴾: لا محاباة في أحكام الشرع للعاطفة أو لغيرها.



## كرب جديد



**توالي** المصائب لا يزيد المؤمن إلا يقيناً بفرج الله ، فالمؤمن لا  
ينفك عن الرجاء وحسن الظن بالله - مهما أدلّهمت الأجواء - .





﴿ فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ  
أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ  
أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ٨٠

﴿ فَلََمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ فقال: «أَشْهَدُ أَنَّ مَخْلُوقًا لَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ»؛ فهنا فخامة تَرَوُّع القلب ، وجلال يَمَسُّ الشغاف ، وشيء يصعب التعبير عنه .. هنا طبقة فاخرة من الكلام.

﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ : الأمور العائلية سرّية.

﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ : ينبغي لمن أراد البحث في أمرٍ مهمٍّ ، أو التشاور أن يختارَ موضعًا هادئًا ، لا تشويش فيه؛ ليجمع فكره ويتبين أمره.

﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ ﴾ .. ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ : فيها أن الابن الأكبر أكثر شعورًا بالمسؤولية تجاه والده ، وفيها: أن في الأمر الخطير يتحدث الكبير.

﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ .. ﴿ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾ يقدح بالرجولة تكرار نفس الخطأ.

﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ : الكبير له رأيٌ رشيدٌ؛ فهو ذو خبرةٍ وقولٍ سديد ، ليتنا نقدّمهم ونحترم آراءهم.

﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ ﴾ : استذكّار العهود والمواثيق والحقوق ، واستدعاء دروس الماضي وأخطائه والاستفادة منها مستقبلاً؛ طريقة الكبار.



﴿ فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ﴾: لما فرط في يوسف ولم يرجع بأخيه الثاني ، ترك منصبه كبيرهم ، وفي هذا درسٌ لكل مسؤول .

﴿ فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ﴾: لاسبيل لمن ترتب عليه حقٌ إلا أن يفي ، أو يتحلل من غريمه ، أو يقضي الله له قضاءً قدرياً .

﴿ ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَّابَانَا إِنَّ ابْنَك سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ (٨١)

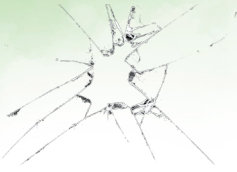
﴿ ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَّابَانَا إِنَّ ابْنَك سَرَقَ ﴾: لقن المتربي ما يقول إذا لم يحسن خاصة في البلاء .

﴿ إِنَّ ابْنَك سَرَقَ ﴾: لم يقولوا «إن أخانا سرق» .. كثيرٌ من تضييع أخوتهم وصدافتهم في الأزمات .

﴿ إِنَّ ابْنَك سَرَقَ ﴾: وقيل لم يقولوا: «أخانا»؛ لأنهم غير راضين عن فعله .

﴿ يَتَّابَانَا إِنَّ ابْنَك سَرَقَ ﴾: نسبوه إلى أبيهم كأنما هو شريك الزلة ، فما أحرصنا في الواقع على أن نلحق أنفسنا بنجاحات غيرنا ، ونسلخ أنفسنا منهم حين الإخفاق! ليس هذا من حسن خلق .

﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾: يجب أن يكون مبنى الشهادة على علم يقيني ، كالشمس في رابعة النهار ، فليتق الله قومٌ يتساهلون في بذلها .



﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا﴾ .. ﴿إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقٌ﴾ عندما كانت لهم منفعة قالوا: «أخانا» وعندما انتهت قالوا: «ابنك» .. كيف تغيّر الخطاب بتغيير المصلحة؟!

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾: الكلام في الأشياء شهادة ، فما لا تعرف حقيقته لا تخض فيه.

## ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ﴾

حين صدق إخوة يوسف في خبر أخيه بنيامين احتفت اللغة بصدقهم: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ﴾: هل للقرية لسانٌ يجيب إذا سئلت؟!

على البريء إذا أراد إثبات براءته أن يستنفذ جميع الوسائل التي تثبت براءته: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ﴾.

﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾: كلمة الحق لا تحتاج إلى أدلة أو إثبات؛ لما كذبوا أتوا بدمٍ كذب ، أما الصدق فاسأل عنه.

قال إخوته لأبيهم لما رموا يوسف بالجب: ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ بينما قالوا عن بنيامين: ﴿وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ﴾ سبحان الله!



## المؤمن حال الأسى ..

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٨٣)

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾: جواز اتهام البريء لملاسلات أو تهمة سابقة ، فليس كل الظن إثماً ؛ ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢] بل إذا وُجِدَتْ قرينة -كجُرمٍ سابق- فظنٌّ وأخطأ فلا لوم عليه.

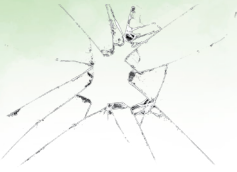
﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾: قاومَ لوعة فقد يوسف بالصبر الجميل .. وحرقة اختفاء بنيامين بالصبر الجميل .. الصبر الجميل أنجع «أسبرين» للأرواح المفقودة.

﴿ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴾: (مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ)، وأفضل الصبر أجمله ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ وهو الذي لا تسخط فيه ولا جزع ولا يأس.

﴿ تَوَالِي الْمَصَائِبِ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ إِلَّا يَقِينًا بِفَرَجِ اللَّهِ ، لما توالى الابتلاءات على يعقوب -وفقد بنيامين- قال ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ ، فالؤمن لا ينفك عن الرجاء وحسن الظن بالله -مهما أدلهمت الأجواء- .

﴿ لما احتبس أخوهم الأكبر في مصر ذكره يعقوب مع يوسف وأخيه: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ إنه حنان الوالدين -وإن بلغت أذية الأبناء ما بلغت.





## ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٨٤)

عندما تدمع عينك من الحزن - اهجر الناس ، واختف ، وأنا عنهم بجانبك: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ .

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ : أبت شهامته أن يظهر أمام ولده بمشهد الحزن ومظهر البكاء فتواري !

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ : ليس كل من تولى عنك يُبغضك ، أحزانه أجبرته على الرحيل .

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ : اترك من يُحبطك أو يَستضعفك ، ابتعد عن الشخصيات الصعبة التي تشير آلامك ، أعط كلماتهم ظهرك .

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ : لعل فيها مدحٌ من الله سبحانه ليعقوب بتولييه عنهم والتفاتة لربه في أحلك ساعة من ساعات الحزن يحتاج فيها الإنسان لمواساة أقاربه ودعمهم .

﴿ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ ﴾ : الحزن الجديد يقوي ويذكر بالحزن القديم الكامن ، والقدح إذا وقع على القدح كان أوجع ، فلم يطفئ الجرح الجديد لهيب الجرح القديم .. بل هيجه؛ قال: ﴿ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ ﴾ مع أن القضية قضية بنيامين! وهذه تفيدنا في التعامل مع المكرومين .

﴿ لا يعارض الرضا والصبر واليقين البكاء والحزن والشكوى لله ما دام القلب مطمئناً: ﴿ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ .



﴿يَتَأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: رغم أن كل الأبناء معه ، ولكن بعض الأماكن لا يملؤها إلا شخصٌ واحد؛ فلا تغب عن والديك؛ لا أحد يملأ مكانك؛ أحد عشر لم يُنْسوه غائبه.

﴿يَتَأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: حينما فقد يوسف وحُرم النظر إليه كان يتسلى برؤية بنيامين ، يتسلى بالأثر عن النظر ، وبالحبيب عن الأحب ، فلما حُرم الأثر؛ نادى الأسف.

﴿يَتَأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: يعقوب عليه السلام كتم أمره ثم أفصح؛ مما لا يقبل الخفا والاستخفاء «الحنين لغائب».

﴿وَنَوَلَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ كتم المشاعر الأبويّة كسداً شلالاً بحجارة ، والنتيجة: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ شدة الألم ، ﴿مِنَ الْحُزَنِ﴾ لوعة الفقد.

﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ النبي يعقوب عليه السلام من الحزن مع علمه بحياة ولده ، وأحدهم ينكر عليك دمعاتٍ نثرتها لفقد حبيب أو قريب!

﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾ ابْيضت عينا يعقوب ولم تبيض عينا يوسف ، هل عرفت الفرق أيها الابن؟!

﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾: مهما كتم القلب حزنه ولوعته ، فضحته سقطات اللسان ودمعات العيون.

﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾: شدة الحزن تؤثر على بدنك.

﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾ فَقَدَ الولد بالموت أهون من فقدِه حيًّا ، ولا يجد ألمه كوالده ، قال الله عن يعقوب وهو نبي ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾ هذا والد يوسف .. فكيف بأُمه!



﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾: عاش يعقوب عليه السلام حزناً طويلاً لكن قصة حزنه صارت كهفا يأوي إليه المحزونون؛ اجعل قصتك مع الحزن ملهمة لك وللآخرين.

﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾: هذا حبٌّ جارف .. أراد الله لحكم ولطائف .. فطلب أن يعدل يعقوب عليه السلام في مشاعره مع أبنائه تكليفاً بما لا يستطيع.

﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾: خسر عينيه ، لكنه لم يخسر إيمانه أبداً.

﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ﴾: فقد النبي كثيراً ، ولكن العيون تظل أغلى الجسد.

﴿لا تتقرب إلى أبيك بإقصاء أخيك .. فهؤلاء إخوة يوسف أبعده عن أبيه ليتقدموا عنده ، وما علموا أن حزنه عليه يشغله عنهم ، وتهتمه إياهم تبغضهم إليه.

﴿عندما رأى الله شدة تعلق وحزن قلب نبيه على ابنه جعل عينيه تبيضان من الحزن .. تعلق بالله وحده.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا  
أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾

﴿تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾: إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه.. مكث يعقوب قريباً من ثلاثين عاماً لم تجف له دمعاً على فراق يوسف ، وما على وجه الأرض أكرم على الله منه!



﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُونُسُ حَتَّىٰ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾: ما أصعب أن يمنع أحدهم الماء عن شجرة الأمل في أوبة عزيز طال غيابه!

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُونُسُ﴾: هناك من يحبط شوقك ، يُبْسِكُ ، يقول: «ما زلت على تلك الحالة ١٩» .. دع يأسه وترقب.

الحزن البادي على الملامح ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ لا يقدح في حسن الظن بالله والفاء بقرب فرجه ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾.

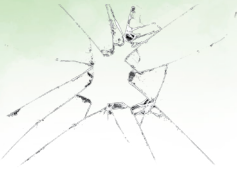
﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ ، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيدٌ﴾..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر الجميل» [مجموع الفتاوى ، ١٠/٦٦٦].

﴿لَا بُدَّ مِنْ مَدَافِعَةِ الْكَأْبَةِ وَالْحُزْنِ وَإِلَّا أَهْلَكَ صَاحِبُهُ﴾ ﴿تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُونُسُ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ وأعظم سبيل لتفسيه: البثُّ والشكوى ، وأنفع البثُّ: البثُّ إلى الله ﷻ والشكوى إليه ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾.

﴿مَنْ أَكْبَرَ بَوَاعِثِ الرَّجَاءِ: الْعِلْمُ بِاللَّهِ؛ كَمَا قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ومن تأمل اسمي «العليم الحكيم» وعاش في ظلالهما علم لطائف التدبيل في قول الله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].



﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: سَمَّى حَسَنَ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ عِلْمًا ، وَأَيُّ عِلْمٍ لَا يُوصلُكَ إِلَى حَسَنِ الظَّنِّ بِرَبِّكَ فَلَا خَيْرَ فِيهِ.

## رحلة البحث ..

﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧)

﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: أَبَّ مَكْلُومٌ وَمَفْجُوعٌ مِنْ فَقْدِ وَلَدِيهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَنَادِيهِمْ بِاللُّطْفِ كَلِمَةً: ﴿يَبْنِيْ﴾ إنها رحمة الأب ، توجب علينا البرَّ ، فكيف برحمة أرحم الراحمين؟!

﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوا﴾: قال لهم: ﴿اَذْهَبُوا﴾ ولم يعبأ بغيابهم ، طلبًا للغائب المحبوب!

يعقوب عليه السلام صبر وبذل الأسباب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ ، ﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾

معالجة الأمور العظيمة وحل المشكلات العويصة تحتاج إلى رفق وأناة وبُعد نظر ، على خلاف ما درج عليه كثيرٌ من الناس: ﴿اَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾ ، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩]. فينبغي لمن طلب أمرًا خفيًا عسيرًا أن يتلطف في التحري ولا يلفت الأنظار؛ لئلا يتفطن له من يُفْشِلُ سعيه ﴿فَتَحَسَّسُوا﴾.

﴿يَبْنِيْ اَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: دع صاحب الخطأ يصحح الخطأ بنفسه.



﴿ فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ لا يزال يوسفُ الأحبُّ إلى القلبِ رغم البعد؛ وقلوب الآباء لا تؤمن بالتكر للوجد.

﴿ فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ فقدّه طفلاً قبل سنين طويلة وما زال يطلب البحث عنه؛ إذا حدثوك عن الاحتمالات العقلية فحدثهم أنت عن الثقة بالله.

﴿ فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ قدّم يوسف في الذكر مع غيابه الطويل المؤذّن باليأس من عودته؛ لكنها شدة اليقين بالفرج والنصر.

﴿ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ الجرح الاختياري أقل عمقاً من الاضطراري الجرح الاختياري أقل عمقاً من الاضطراري ﴿ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ فلم يذكر الولد الثالث -والعلم عند الله- لأنه بقي هناك اختياراً منه ، مع علمه بحاله ، ولأن بُعد يوسف وأخاه كان بعدهما اضطراراً وأقدم عهداً من الثالث. مع جهله بحالهما ومآلهما.

﴿ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ كيف يتحسسون منه وقد أكله الذئب؟ افتضحوا حتى عند أنفسهم .. فلم يعد لإصرارهم على كذبتهم فائدة!

﴿ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ اليأس من روح الله كفرٌ لما فيه من إساءة الظن به سبحانه ، والرجاء المقرون بالسعي إيمانٌ لأنه حسنُ ظنٍّ به تعالى وتقدس ، واليأسُ ضنكٌ والرجاءُ رَوْحٌ.

﴿ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ المؤمنون ما داموا مؤمنين لا ييأسون من روح الله. وهذه السورة تضمنت ذكر المستيئسين ، وأن الفرَح جاءهم بعد ذلك؛ لثلا ييأس المؤمن ، تأمل كيف خُتمت السورة ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾.

## وانكشف السر



**ليس** هناك أجملُ من اسمك عند البيان -ولو كنت عزيزاً- ،  
فاترك الألقابَ لأهلها -لاينفكون عنها ولو عرفوا بأنفسهم-.







﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ  
وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا  
﴿ ٨٨ ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ  
عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ : استرحامٌ بديعٍ مع مخلوق .. فاسترحم خالقك!

﴿ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ﴾ : التعاطف يكون غالباً مع الأهل - كالنساء والأطفال - .

﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ : جاءت العسبة تقول: للذنب شؤمٌ ولو بعد حين .

﴿ مِنْ تَأْمَلْ ذُلَّ إِخْوَةِ يُوسُفَ ﴾ يوم قالوا: ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ : عرف شؤم الزلل .

﴿ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمَّا امْتَدَّتْ أَيْدِي الظُّلْمِ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ: ﴿ وَشَرُّهُ  
بِثْمَنِ بَخْسٍ ﴾ [يوسف: ٢٠] امْتَدَّتْ أَكْفُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالطَّلَبِ يَقُولُونَ: ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾!»

﴿ يُوسُفُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ﴾ وَشَرُّهُ بِثْمَنِ بَخْسٍ ﴾ [يوسف: ٢٠] باعوه بثمنٍ زهيد ،  
وفي آخره قالوا ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ قيمتك في إحسانك مع الله ثم لخلقه ، وهو سر  
رفعة يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ .

﴿ عِنْدَمَا تَعْلُو الْجِبَاهَ ظِلْمًا تَسْقُطُ ذُلًّا أَمَامَ الْمَظْلُومِ .. قَالُوا لِأَخِيهِمْ: ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ .



﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾: قالها أبناء يعقوب ، أما الصدقة فلا تجوز لآل محمد ﷺ؛ فهو حكم خاص في شرعنا.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾: التذكير بالعاقبة استدرارًا للعتاء.

## ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨٩)

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾: بالله عليك أرايت قلباً أسلم من هذا القلب؟! يعتذر عن من ظلمه قبل سماع التبرير!

﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ﴾: ماذا فعل إخوة يوسف بأخي يوسف ، حتى قال يوسف لهم: لعله سوء ظنهم بأخيهم الصغير وتصديقهم أنه سرق؛ فتصديقك التهم المشينة التي يرمى بها إخوانك الصالحون جريمة في حقهم.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾: كان كلامه شفقة عليهم ، ونصحاً في الدين ، لا معاتبةً وتثريباً ، بل التمس لهم العذر قبل أن ينطقوا بـ ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَاشَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩١] قال: ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ إشاراً لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام ، فالتعب الجميل فن لا يتقنه إلا أصحاب النفوس الكبيرة والطباع المهذبة ، فلا تنقير فيه ولا ترذيل ، بل فيه إعذار.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ﴾: وبخ بالسؤال وليس بتحقير الذات.



﴿ قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا  
أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ  
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿١٠﴾

﴿ أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ۖ ﴾ قيل: هذه الآية تصديق لقوله في أول السورة:  
﴿ لَتَنبِتَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ ﴾ [يوسف: ١٥] .

﴿ أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ۖ ﴾ بدأت ملامح يوسف القديمة تتركب في أعينهم .. وذكريات  
بئر الجريمة تعصف .. وأصبح الموقف ساخناً .. واللحظات محرقة.

﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ ۖ ﴾ ليس هناك أجمل من اسمك عند البيان -ولو كنت عزيزاً- ،  
فاترك الألقاب لأهلها -لا ينفكون عنها ولو عرفوا بأنفسهم- .

﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ ۖ ﴾ التعارف الأكثر إحراجاً في التاريخ !!

﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ ﴾ الأوفياء يشركون في الفرج من  
شاركهم الآلام -وإن لم تكن لهم نفس التضحيات- .

﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ ﴾ هكذا الأنبياء وأتباعهم ، لا ينسون لفظ الامتنان للخالق المنان  
عند حلول النعم.

﴿ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ ﴾ ألقوه في بئر ليباع بيع العبيد ، ثم ليُسَجَّنْ ظُلماً ، ثم لَخَصْ لإخوانه قَصَّتْهُ فقال: ﴿ إِنَّهُ مَن  
يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فقط ! جميع ما في سورة يوسف  
اختُصِرَ في هذه الكلمات العشر.



﴿التقوى والصبر سبيلٌ لبلوغ منزلة الإحسان: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.﴾

﴿في آخر المطاف ، وبعد أن أسدل ستارُ الخلاف ، قعد يوسف قاعدةً عظيمةً تكتب بماء العينين: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.﴾

﴿هذا يقينٌ من عانى أشدَّ الابتلاء؛ فخذها نصيحةً وتجربةً منه ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: التقوى والصبر أساس التمكين.﴾

﴿﴿عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦] ﴿ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: ١٧] ﴿فَأَكَلَهُ الذِّبُّ﴾ [يوسف: ١٧] ﴿يَدْمِرُ كَذِبٌ﴾ [يوسف: ١٨] ، جاءوا بحقيقة مليئة بالأكاذيب ، ولكن فجرتها ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾.﴾

﴿﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ تعليلٌ لـ: ﴿مَنْ أَلَّفَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ وحثُّهم على التقوى والتخلق بالصبر تعريضٌ بأنهم لم يتقوا الله فيه وأخيه ، وهذا من أفانين الخطابة؛ أن يغتنم الواعظُ الفرصة لإلقاء الموعدة ، وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله ، وظهور أمارات صدق الواعظ في موعدته.﴾

### فائدة

كبيرُ النفس يبقى كبيراً .. لا تغرّه  
المناصب ولا المراتب ...!



## ﴿ قَالُوا تَأَلَّهَ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴾ (٩١)

من أعجب ما يفعله الحاسدون أن يكونوا سبباً في تتويج من أرادوا القضاء عليه ، تدبر ﴿ قَالُوا تَأَلَّهَ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ .

ليقتنعوا ببدهية ما . ﴿ قَالُوا تَأَلَّهَ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ : يحتاج البعض إلى عقود من السنين ليقتنعوا ببدهية ما .

﴿ قَالُوا تَأَلَّهَ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ : علموا أنه ليس أحب إلى أبيهم فحسب .. بل إلى ربهم منهم .

﴿ قَالُوا تَأَلَّهَ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ لا تفعل ما قد تعتذر منه غداً :

## ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٩٢)

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ : بعد عظيم ذنوبهم ، أفسح لهم ربهم في الأجل؛ فرضي أبوهم ، وعفا أخوهم ، وجمعهم بعد فراق ، وألهم نبييّن الدعاء لهم ، فلا تيأس بعد ذنبك فإنك تعامل الله .

النفوس العظيمة تتعالى على جراحها ، وتنسى آلام الماضي ، وتغفر زلة الأحبة ، والمؤمن الصادق لا يعلم الانتقام للنفس طريقاً إلى قلبه ، هكذا الكرام رغم الإساءة! فاختر لنفسك أن تكون كريماً .



تمت تصفية الحسابات القديمة في لحظة صفاء ، فلا وقت عند الكبار للتوقف عند بنيات الطريق ،  
وعشرات الرفيق؛ فصاحب الرسالة همُّه الإصلاح لا الانتقام لنفسه ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾  
﴿١١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ وكما يقال: إذا رُفعت راية الاعتذار ، وجب عن الزلة غضُّ الأبصار.

أزمات التعامل مع الناس يعالجها الأنبياء بأمورٍ ثلاثة: التقوى والصبر: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ ، والعفو: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾.

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾: تنتهي معاناة السنين عند العظماء هكذا بكل بساطة.

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾: قلها لمن أتاك معتذراً ، تفتح له آفاقاً من الأخوة جديدة ، وقد  
قالها ﴿اذهبوا فأنتم الطلقاء﴾ [السنن الكبرى للبيهقي ، ١٨٢٧٦].

﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾: قد تملك أن تغفو عن أساء إليك ، أما أن تدعوله فهذا مما لا  
يقدر عليه إلا أهل الصدق.

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾  
﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٣﴾

﴿وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ يَدَمٌ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] .. ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾ [يوسف: ٢٥] ..  
﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾ قميص يوسف حكايته عجب واللَّهُ فيه المصيبة وبه الفرية وبه البشارة!  
كان قرينة فال: ﴿عَلَى قَمِيصِهِ يَدَمٌ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] ، ودليل براءة: ﴿قَدْ مِنْ قَبْلِ﴾  
[يوسف: ٢٦] وبهجة شفاء: ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ ، فما قد يحزنك يوماً قد يحبرك غداً.



هل عُرِفَ القميص دواءً للعيون عند أي أمة من الأمم؟! وهل عرف الأطباء مثل ذلك إطلاقاً؟! يُجري الله تعالى إرادته بما يشاء على من يشاء من خلقه ، وإذا قال لشيء كن فيكون ، فليبحث الخلق عن الله ، فمن وجد الله وجد كل شيء ، ومن فقد الله فقد كل شيء .

﴿ فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي ﴾ : قد يكون شفاؤك فيما لم تظن له سماعات الأطباء ، ففتش في قلبك أولاً .

﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ : اختار قميصه دون غيره؛ ليدخل السرور على والده من الجهة التي دخل عليه الهمّ منها .

﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ : أهم قضية الآن ، ذاك الذي ابيضت عيناه لفراقه! خذوا قميصي ، وإن شئتم فاقطعوا جزءاً مني وقربوه له ، دعوه يطمئن ، حتى مسافة الطريق بيني وبينه لا أريد أن يمشيها مبيض العين . من حق الروح التي فجعت بقميص ملئ دماً وفجيعة أن تسعد بقميص ملئ عباقاً وعطراً .

﴿ وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ : إكرام العشرة وعدم نسيان أهل الفضل .

﴿ وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ : لم يذهب يوسف لأبيه لارتباطه بواجبات أمة ، ولا يُعد هذا من العقوق .

# الفرائد القرآنية في سورة يوسف

١٣ لفظة لم تُذكر في القرآن إلا في سورة يوسف

---

دَرَاهِم

يَرْتَع

اِطْرَحُوهُ

هَيْتَ

غَلَّقَتْ

الزَّاهِدِينَ

كَضَخَصَ

خُبْرًا

شَفَفَهَا

تَفْتَأُ

صَوَاعٍ

نَمِيرٍ

تُفَنِّدُونَ



## لقاء الأُحبة



متى ما أحسنت الظنَّ بالله ولم تقنط من روحه ، حتمًا  
ستجد ريحَ ما أمّلت قبل أن يصلَ إليك!





﴿ وَلَمَّا فَصَلَ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ  
يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ٩٤

﴿ وَلَمَّا فَصَلَ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾: متى ما أحسنت  
الظن بالله ولم تقنط من روحه ، حتماً ستجد ريح ما أملت قبل أن يصل إليك!

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾: المتفائلون يشمّون ريح الفرج رغم المسافات.

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾: كان قريباً في الحب ولم يدر به ، ولكن لما آن الفرج  
وجد ريحه وهو في الشام.

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ ﴾: لم يقل: «أشم»؛ لأنه كان ضائعاً فوجده.

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾: قال يقيناً: «أجد» ، ولم يقل: «أشم» أو «ألتمس» ، يقولون  
للحب رائحة تأتي بها رياح الشوق ، فهل تشعر بريح من أحببتة؟

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾: كم كان في البيت سوى يعقوب؟! لكن لم يجد الريح  
سواه! فرائحة الأحباب لا يجدها من جهل قدرهم.

﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾: كانت عودة بنيامين أقرب ، لكنها الثقة بالله!

﴿ مَهْمَا حَاوَلَ الْحَسَادُ إِسْقَاطَ مَحَبَّتِكَ مِنْ قُلُوبِ الْخَلْقِ فَلَنْ يَسْتَطِيعُوا ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَلِكٌ لِلَّهِ يَفْعَلُ بِهِ مَا يَشَاءُ . ﴾

﴿ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾: دليل على أن الإنسان يكره تسفيه رأيه ، ويألم من ذلك سيّما إذا  
هرم! فلنراع كبار السن.



﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾: كن واثقًا بعلمك الصحيح - وإن جوبهت بالسخرية والاستهزاء-.

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ فأجابه: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] عبر عن مشاعره وأشواقه وما يعتمل في داخله؛ فقابلوه بمحاكمتها .. لا تحاكم أحبتك حين يشتكون إليك ، تعاطف معهم ، هم لا يريدون قاضيًا.

﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾: كبت بعض مشاعرك فنُّ قد لا يتقنه إلا أنت ، ومن قصر عقله عن إدراك قولك قدح في عقلك.

﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: مهما نأت بالأحبة الدار ، أو شطَّ بهم المزار ، سيبقى طيفهم حائماً حولك ، ورائحتهم عالقة في الفؤاد.

### ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ ما أقسى أن يجتمع على المحب فقدُ الأحباب ، وتقنيطه من جدوى ذكراهم!

﴿لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَامَنَا﴾ ، ﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾: حاربوه في الحب .. ثم حاربوه في ذكرى الحب.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾: من العقوق أن تقول لأبيك: «أنت لا تفهم» ، «لا تدري» ، «أنت في ضلال».



﴿قَالُوا تَأَلَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾: حتى أقرب الناس إليك قد يستخف بآلامك؛ وحده الله من يرحمك.

هل سمعت كلمة موجهة؟! هذا نبي كريم قال له أهله وأقرب الناس إليه في غمرات أحزانه - وحلفوا أيضاً -: ﴿تَأَلَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ ومع ذلك لم يرد عليهم.

## وجاء البشير ..

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦)

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾: عاقبة الصبر الجميل؛ من غيبوه جاؤوا يبشرون بعودته؛ سبب حزنك اليوم قد يكون البشير غداً!

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] وقميص فرحة: ﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ داواها بالتي كانت هي الداء!

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: لا بأس أن تذكر الآخرين بصحة توقعاتك بعد تحقيقها شرط أن تكون مبنية على علم لا حدس.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: استحضار الخصوصية في العلاقة مع الله من أعظم الأسباب الجالبة للمحبة والشوق إليه سبحانه؛ فالحب ينبت على حافات المنن وشهود النعم.



## ﴿قَالُوا يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (٩٧)

﴿يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: لم يقولوا: «استغفر لنا لما فعلناه بك من مصائب».. لا تذكر من أخطأت بحقه بخطئك .. لا تنكأ قلبه بسرد التفاصيل.

﴿يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: طلب العفو ممن أخطأت في حقه

﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾: إذا ظهرت الحقيقة فاستسلم لها وقدم اعتذارك من سالف خطئك ، ولا تحاول التبرير أو تكابر في الاعتراف ، وسيلين لك قلب الآخر.

﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾: إن صدقت التوبة نلت عدداً من المستغفرين لك؛ فيوسف استغفر لهم ، ويعقوب استغفر لهم.

## ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٩٨)

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾: يقال: أجل الاستغفار لوقت السحر؛ لأنه وقت دعاء.. ففيه تأجيل بعض أعمال الخير لمصلحة راجحة.

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾: ألقوا أخاهم في البئر لكن الله أمهلهم حتى استغفر لهم نبيان من أنبيائه؛ مهما كانت جريمتك؛ المستقبل مليء ببشارات التوبة.



﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ  
ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ ٩٩

﴿ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ : لا تقدّم قبل الوالدين أحداً ، لا بد أن تخصّ والديك بزيادة  
اهتمام ، ومحبة واحترام.

﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ : من أدب يوسف ﷺ : تقديمه المشيئة.

### فائدة

أن تكبت بعض مشاعرك فنّ لا يتقنه  
إلا أنت، ومن قصر عقله عن إدراك  
قولك قدح في عقلك.

## # علمني - قميص - يوسف

أن أنزع اليأس من قلبي ، مهما  
بلغت بي حالة البؤس ففي الغيب  
أسرار عجيبة..

١

قد لا يكون أعداؤك في وطن آخر ، قد يكونوا ممن يقاسمونك  
رغيفك وأنت لا تدري! فيكيدوا لك كيداً..

٢

أن الإنسان ليس قميصاً ؛ «وجاؤوا على قميصه بدم كذب»  
«فلما رأى قميصه قد من دبر» ، لوثوا قميصه في الشام بالدم  
ومزقوا قميصه في مصر ، وظل يوسف طاهراً عفيفاً ..

٣

أنه قد يتمزق الثوب «وقدت قميصه من دبر» لكن تستر  
الفضيلة ..

٤

ما كان سبب بؤسك اليوم؛ قد يكون سبب سعادتك غداً ..

٥

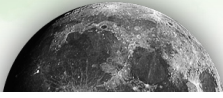


تحقق الرؤيا وتمام المنة



ما أجملَ حديثَ الذكريات بعد انقضاء الأيام المبكيات.





## تحقق الرؤيا وتمام المنة ..

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبْتُ هَذَا  
تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي  
مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ  
إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٠٠)

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾: من كانت بداياته محرقة ، كانت نهاياته مشرقة.

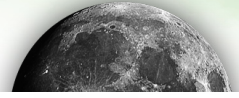
﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾: رفيع المستوى يرفع من حوله لا ينزل لهم.

﴿ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ [يوسف: ٩٩] ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ ﴾ أظهر اهتمامك بهما عند اللقاء .. رزقنا الله برهما أحياء وأمواتاً.

﴿ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ ؛ بل: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ هما وإخوته .. فلا تغفل عن هذه الحقيقة «يذيقك الله مرارة الكسر لتتولد بحلاوة الجبر».

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾: كن وفيّاً لوالديك وإخوتك ، ولن كان سبباً في نجاحك ، مهما بلغت من المناصب والمكانة .. فالإحسان جزاء الإحسان.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾: العظيم كلما ارتفع؛ زاد إكرامه لوالديه.



﴿يَتَابَتِ﴾ نفس العبارة ﴿يَتَابَتِ﴾: هو هو لم يتغير! تأدب وتوقير وانخفاض للأب؛ فلم تغيره الأيام ولا الخزائن ، وهكذا ينبغي أن نكون مع آبائنا ولو حصلنا على الدكتوراه وغيرها من الشهادات أو الوظائف المرموقة ، نبقى صغاراً مهما بلغنا أمامهم.

﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾: متى كانت؟ ومتى تحققت؟ فقط صبرٌ جميل.

﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾: ما أجملَ حديثَ الذكريات بعد انقضاء الأيام المبكيات.

﴿تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ﴾ و﴿يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ﴾ تاريخُ كلِّه أحزان ، وابتلاءات ، ومواقع .. وصبر كالجبال!

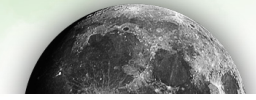
﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾: وقع تأويل رؤياه بعد سنين متطاولةٍ ، مع كونها رؤيا ، فكيف إذا كان وعداً من الله على عمل؟! فلا تعجل.

﴿إِذَا أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: لعله أراد أن يزيل عنهم رهبة الملك بالذكريات الأليمة حتى يشعرهم بالتواضع.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذَا أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: لم يتطرق لذكر البئر مع أنه أشد كرباً من السجن؛ لئلا يجرح مشاعر إخوته ، فلا تنغص الاجتماعات العائلية بذكرى مؤلة ، **تكلم عن النعم**.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذَا أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: كان السجن حمايةً ليوسف ... كما كان البئر من قبل ، هذا هو المقصود بالقدر خيره وشره فما ظاهره شرٌّ قد يكون باطنه الخير.

﴿أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: ليس ذكر عاصر الخمر من أخرجه .. ليس اعتراف زوجة العزيز من أخرجه .. الله هو الذي أخرجه.



﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾: توقع أن يسيء إليك إخوانك .. أن يقسو عليك أقاربك .. أن يأمر من أحبك بسجنك؛ ولكن الذي لا ينبغي أن تتوقع أن يسيء إليك هو الله.

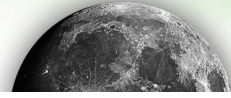
﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾: في بداية السورة اختار السجن على الفتنة؛ إلا أنه اعتبر الخروج مما طلبه إحساناً: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجْنِ﴾، كما أنه دخل السجن ظلماً ، فالخروج منه -بسبب رؤيا- محض فضل من الله ، فيستحق أن يذكره ويشكره. أيها المبتلى لا تنس ذكره وشكره في البلاء كما في: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ ولا في النعماء كما في: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ، ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ ، تأمل الآيتين وتأمل تأثر الابن بالأب!

﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾: جعل نفسه طرفاً في الأمر؛ مواساة لهم ، وتخفيفاً عنهم ، يا لمروءته! ففيها مراعاة نفسية التائب بإشراك نفسك في الخطأ لتخفف عنه .. ولم ينسب الخطأ لهم .. هكذا هي النفوس العالية؛ ما يهمها دوماً هو تصحيح الخطأ فقط ، فهنا أفخم مقامات الأدب الأخوي ، سجّل الجريمة ضد الشيطان، وبراً إخوانه.

﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾: لا داعي لإعادة ذكر المشكلة بالتفصيل .. لم يذكر لوالديه وإخوانه تفاصيل معاناته الطويلة .. بعض الناس مُغرم بذكر المعاناة استجلاً لعطف الناس! انتهت المشكلة .. إنها مجرد نزغات شيطان ، فسمّاه (نزغاً)؛ لأن قلوب الكبار لا تحمل حقداً.

﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾: الحمد لله أن كيد الشيطان توقف عند النزغ .. فكيف لو أوتي سلطاناً أكبر من النزغ علينا؟



﴿إِذَا حُلَّ لَطْفُ اللَّهِ ، انقلبت النقم نعمًا ، وتحولت المحن منجًا ، وصار العسر يسرًا﴾ هكذا قصة يوسف: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ ، وإذا أراد الله لعبده طريقَ الابتلاء فإنه سبحانه يجري ذلك البلاء ، وينزل معه لطفه.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ : من قرأ سورة يوسف ثم لم يشعر بلطف الله وهو يتخلل تفاصيلها ويحكم فصولها فلم يقرأها.

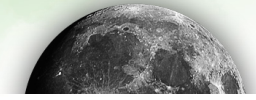
﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ : الأصل أن يُعَدَّى فعل لطف بالباء [لطيف بما] ، لكن لأنها تضمنت معنى التدبير عُدِّي باللام ، أي إن ربي مدبر لما يشاء ، فتأمل!

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ : علمتني سورة يوسف أن من أراد الله رفعته فلن يمنعه حرصُ الحبيب ، ولا مكرُ القريب ، ولا ظلمُ السلطان ، ولا كيدُ النسوان.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ : بعد كل هذا العمر يقولها تمامًا كما علمه أبوه ﷺ في صغره ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ، يؤكد لنا أهمية التربية الإيمانية على فهم معاني الأسماء الحسنى والصفات والتعلق بها.

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ  
الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١)

﴿فِي الضَّرِّ خَاطَبَ أَهْلَهُ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ، وَفِي النِّعْمَةِ خَاطَبَ رَبَّهُ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي﴾ .



﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: قرن التعبير بالملك ..  
فماذا عن العابثين بالرؤيا المخادعين للناس؟!

﴿ظَلَمْتُ قَرِيبٍ وَحَسَدْتُ ، وَجَوَرْتُ سُلْطَانٍ وَسَجَنْ ، وَفْتَنْتُ مَالٍ وَنِسَاءً ، ثُمَّ يَقُولُ : ﴿أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾﴾ بمثل هذا اليقين بلغ ما بلغ.

﴿أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوْفَنِي مُسْلِمًا﴾: تقديم الشاء على الدعاء.

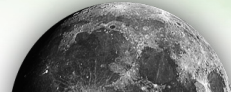
﴿أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: قالها يوسف وقد اجتمع عنده أبواه وإخوته وأقرب أوليائه ، والله لا أنفع ولا أبرد للقلب من ولاية الله ، يارب أنت وليي.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي﴾ ، ﴿تَوْفَنِي مُسْلِمًا﴾ لا الملك ولا العلم نهاية آمال العارفين ، الموت على الإسلام غاية كل لبيب ، وهو أمنية الأنبياء ، أعظم من الجمال .. أعظم من المال ، أعظم من العز ، أعظم من الحرية؛ أن يتوفاك الله مسلماً.

﴿تَوْفَنِي مُسْلِمًا﴾: دين الأنبياء كلهم واحد؛ الإسلام.

﴿تَوْفَنِي مُسْلِمًا﴾: النبي الذي أثني الله عليه في سورة كاملة ووصفه بالنبوة ، والإحسان ، والإخلاص؛ غاية أشواقه أن يموت مسلماً. أي نعمة أنت فيها يا مسلم؟!

﴿أُلْقِيَ فِي الْجَبِّ ، وَبِيعَ فِي سَوْقِ النَّخَاسَةِ ، وَاتُّخِذَ قَتًى ، وَأُتْهِمَ ، ثُمَّ سَجَنَ ، فَلَمْ يَسْخُطْ وَلَمْ يَطْلُبِ الْمَوْتَ ، وَلَمَّا تَمَّ لَهُ الْأَمْرُ قَالَ : ﴿تَوْفَنِي مُسْلِمًا﴾﴾؛ شوق الصادق لله ، وفيه إرشاد لمن نال بغيته من الدنيا أن يتطلع إلى ما هو أعلى من نعيم الآخرة ، وهكذا كان يوسف عليه السلام.



❁ وصية الجد والأب: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾ ، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾  
وامتثال الابن: ﴿أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾. قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم.

❁ ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: لا تأنس نفس المؤمن ولا ترتاح في الدنيا ولا في الآخرة إلا  
بمؤاخاة الصالحين ومصاحبتهم والتقائهم.

❁ إن كنت صالحاً فقد تمنى يوسف صحبتك: ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

### فائدة

من قرأ سورة يوسف ثم لم يشعر  
بلطف الله وهو يتخلل تفاصيلها  
ويحكم فصولها فلم يقرأها.



# مقابلة عجيبة بين قصتي

الكريم والكليم ﷺ (\*)

في يوسف	تبدأ القصة بالأب.
في القصص	تبدأ القصة بالأم.
في يوسف	كان الإخوة سبب المفارقة.
في القصص	كانت الأخت سبب الجمع.
في يوسف	يلتقط يوسف عليه السلام من الجُبِّ (ماء).
في القصص	يلتقط موسى عليه السلام من اليمِّ (ماء).
في يوسف	العزيز هو الذي وجد يوسف عليه السلام وقال لامرأته: (عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) [يوسف: ٢١].
في القصص	المرأة هي التي وجدت موسى عليه السلام وقالت نفس الكلام لفرعون بعد أجيال: (عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) [القصص: ٩].
في يوسف	ذهب يوسف عليه السلام إلى قصر العزيز.
في القصص	ذهب موسى عليه السلام إلى قصر فرعون.
في يوسف	يقول الله تعالى عن يوسف عليه السلام: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) [يوسف: ٢٢].
في القصص	يقول الله تعالى عن موسى عليه السلام: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) [القصص: ١٤].
في يوسف	يُفْتَن يوسف عليه السلام في القصر بالاشتهاء.
في القصص	يُفْتَن موسى عليه السلام خارج القصر بالاعتداء.
في يوسف	قصة يوسف عليه السلام تبدأ خارج مصر وتنتهي في مصر.
في القصص	قصة موسى عليه السلام تبدأ في مصر وتنتهي خارج مصر. فتأمل!

(\*) الأستاذ: نعمان علي خان.



## عوارض في طريق الدعوة



**ليست الدعوة** للتكسب ، وإنما الدعوة لا ثمنَ لها ،  
وإلا لامتاز الأغنياء على الفقراء!





﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (١٠٢)

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾: قصة يوسف غيبٌ؛ فلا تقل فيها شيئاً إلا بدليل.

﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾: في القصة تفاصيل وهمسات وأحاديث نفس ورؤى ولوعات ومفاجآت، ليس من علم نبينا ﷺ ولا درى بها إلا من أحاط بكل شيء علماً.

﴿ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾: لا تقل: هم الذين تخلوا عن فكرة قتله! لكن قل: من حال بينهم وبين قلوبهم التي طرحوا خيار قتله؟ من الذي جعلهم يختارون من بين الربوع الممتدة حفرة لا تتسع فوهتها لأكثر من باع رجل؟ وكيف نقض فكرة قتله التي يبدو أن الإجماع استقر عليها بمقولة ذلك القائل -وهو منهم-.

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣)

﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٢] ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ هناك أخٌ نسي أخوته فمكر .. وهناك عبدٌ نسي إيمانه فكفر.

﴿ وَلَوْ حَرَصْتَ ﴾: الدعوة تحتاج لحرص، وفيها بيان شدة حرص رسول الله ﷺ على إيمان قومه، وشفقته على أمته، وإخلاصه في دعوته، فأين الدعاة من ذلك؟



﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: لا يحزن الداعية ولا يكرب..  
فحكم الله في الناس أن أكثرهم لا يؤمنون.

قد تبدل كل ما بوسعك لهداية الناس وإرشادهم؛ لكن نور الإيمان لا يتسلل إلا للقلوب  
المذعنة للحق.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤)

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: ليست الدعوة للتكسب ، وإنما الدعوة لا ثمن لها ، وإلا  
لامتاز الأغنياء على الفقراء!

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾: تشير الآية إلى قضية عالمية الإسلام؛ الذي جاء ليعم  
الأرض كلها ، صفة العالمية هذه تجعل قضية المسلمين في كل أرض قضية واحدة ، يتناصرون في  
الدين على تباعد أقطارهم.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾: لا بد أن تصل الرحمة إلى جميع العالم ، ولا تختص  
بقوم دون قوم ، أو بلد دون بلد.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا  
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٠٥)

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ ، ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ تسلية الداعي بعد بذله الأسباب  
مهمة جداً ، وتذكيره بأن عدم إيمان الكثير ليس لضعف في تبليغه أو لغموض آياته.



﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ﴾ ، ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ الإِلف يفقد الدهشة.

العقول الجاحدة لنور الحق لا تكثرث للدلائل والبراهين على وجود الخالق !

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ (١٠٦)

يخبر الله تعالى إن أكثر الناس لا يؤمنون بالله إلا مع شركهم به ، فقد يجتمع في العبد إيمانٌ وشركٌ ، إيمان بالربوبية وشرك في العبادة. فالحرص الحرص على تعلم العقيدة وتعاهد الإيمان؛ حتى تكون ممن اصطفاه الله من القلائل.

﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٠٧)

﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾  
الأمّن من مكر الله وعقابه يلزم منه زوال الخوف من القلب.

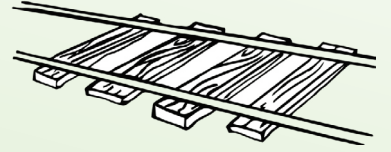
﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾  
بيان إمكان إتيان الغاشية في الدنيا بغتة.

﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾  
ينبغي الاهتمام والحرص على تتبع أشرار الساعة ، ليبقى قلب المؤمن حيّاً يقظاً.





## منهج الدعوة وأسس نجاحها



ظن الأنبياء بقومهم لا برُبُّهم ، ويأتي النصر عند اشتداد  
الأمر وانقطاع الأسباب لتُدرك قيمته!





﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٠٨)

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ : ذكر هذه الآية في خاتمة قصة يوسف فيه إشارة إلى أهمية استثمار قصص القرآن في الدعوة إلى الله.

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ : مشروع عمر الأنبياء الدعوة ، فبقدر ما تأخذ الدعوة إلى الله من حياتنا ، يكون نصيبنا من سبيل الأنبياء.

﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ : الدعوة ليست قصصاً وحكايات ومنامات.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٠٩)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾ : وفيها دليل على أن الله لم يبعث نبياً من النساء ، ولا من الجن ، ولا من البادية ، فلا بد من التسليم بوجود الفوارق بين المرأة والرجل .. لكن مع استصحاب: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾.



﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾: بالنص والحس والعقل عرف تقديم الآخرة.

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾: اعتبر مما يجري حولك ، وفيها أهمية الاتعاظ من مصارع الأمم الماضية.

﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا  
جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا  
عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١١٠)

﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾: ظن الأنبياء بقومهم لا ببرئهم ، والنصر يأتي عند اشتداد الأمر وانقطاع الأسباب لتدرك قيمته! ونحن نُبتلى في الصباح، ونريد النصر في المساء!

﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾: وفق الحسابات المادية تكون نظرتنا للأوضاع في سوريا - مثلاً - يائسة ، ولكن حسابات القرآن تختلف.

﴿ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾: النصر غائب يُقبل ، وليس معدوماً يوجد.

﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾: يصح تسمية المشرك بالمجرم.



﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا  
كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾: الروايات  
المفتراة وقصص الأكاذيب ليس فيها عبرة.

﴿ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾: العبرة في القصص القرآني لا يدركها إلا أصحاب العقول  
الرشيدة.

### خلاصة

مشروع عمر الأنبياء الدعوة، فيقدر ما  
تأخذ الدعوة إلى الله من حياتنا، يكون  
نصيبنا من سبيل الأنبياء.

“

## عَلِّمْتَنِي سُورَةَ يُوسُفَ:

- بَأَن السَّجِينَ سَيُخْرَجُ ..
- بَأَن الْمَرِيضَ سَيُشْفَى ..
- وَأَن الْغَائِبَ سَيَعُودُ ..
- وَأَن الْحَزِينَ سَيُفْرَحُ ..
- وَأَن الْكَرْبَ سَيُفْرَعُ ..
- وَأَن ابْتِلَاءَ الْمُؤْمِنِ كُلِّهِ خَيْرٌ ..
- وَأَن الْبَشَرِيَّ تَلَازِمُ الصَّبْرُ ..

”

دارُ البُلوغَةِ  
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ  
الْمَحَلِّيَّة - مَدِينَةُ

ISBN 978-977-6758-59-9



9 789776 758599



f 7 8 9 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9

/AyatQuranCenter